اليابان

العادات والتقاليد وإدمان التفوق

السفير
عبد الفتاح محمد شبانة



مكت
مدبولى

بسم الله الرحمن الرحيم

اليابان
العادات والتقاليد
وإدمان التفوق

السفير
عبد الفتاح محمد شبانة

١٩٩٦

مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١

المحتويات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

المقدمة

ينبهر الزائرون لليابان بما يرونه من تقدم صناعى هائل يقوم على استخدام أحدث الوسائل العلمية فى الصناعة، ولا يملك الزائر إلا أن يردد السؤال الحائر وهو كيف واءمت اليابان بين «الكيمونو» التقليدى وبين الكمبيوتر؟، وكيف جمعت فى تناغم كلا من عنصرى الأصالة والمعاصرة؟.

يكمن السر فى ما نسميه بالمعجزة اليابانية للإجابة على هذا التساؤل.

حافظ المجتمع اليابانى على تقاليده العريقة، وأخلاقياته الشرقية بما فيها من مثاليات البوذية ومذهب «الشنتو»، فما زال اليابانى يجلس متواضعا على حصير «التاتامى»، وقد جمع قدميه وساقيه تحته، ويتناول مشروبه الوطنى المصنوع من الأرز «الساكيه»، ويسعد وهو يشاهد مصارعة «السومو» بكل غرابتها وتقاليدها الدينية، ويستمتع بحضور مسرح «الكابوكى» الذى نشأ منذ أجيال ومازال بتقاليده، ثم يسير الفرد اليابانى فى الشارع وقد وضع كمامة بيضاء من القماش على أنفه حتى لاينقل عدوى الأنفلونزا للآخرين، وينحنى طوال يومه مرات عديدة تحية لزملائه ورؤسائه، أو ردا لتحية أقرانه ومرءوسيه.

إن اليابانى الذى يتبع هذه التقاليد، يستخدم فى نفس الوقت فى حياته اليومية وفى التخطيط للمستقبل كل ما انتجته التكنولوجيا من وسائل متقدمة.

نجد الآن فى المنزل اليابانى ماكينة غسيل الملابس الاتوماتيكية، وغسالة

الأطباق، والمجفف، وماكينة الخياطة والمكنسة الكهربائية، ونجد أيضا حلة طهى الأرز الكهربائية التى أعفت الأم اليابانية من النهوض مبكرا فى الصباح لإعداد وجبة الأسرة من الأرز لتناولها قبل الذهاب للمدرسة والعمل.

نجد - فى نفس الوقت - خارج المنزل بوابات المترو التى تعمل أتوماتيكيا، والبنوك التى تقوم فيها الماكينات بأعمال البشر، والصناديق المغلقة التى تقدم للعملاء الطعام والشراب البارد والساخن دون تدخل من العامل، كما تمت ميكنة كل ما يتعلق بالتليفونات والبريد.

أما السيارات فقد زودت بكل الكماليات التى تعمل الكترونيا، ونجحت لتفوقها واعتدال أسعارها فى غزو كل الأسواق العالمية - بما فيها الأمريكية - وهددت مصانع السيارات بالتوقف، وعمالها بالبطالة مما خلق مشكلة لم تجد لها الدول المضارة حلا حتى الآن.

سنحاول فى هذا الكتاب أن نعرض بعض العناصر التى شكلت من اليابان قوة اقتصادية عظمى هددت اقتصاديات أمريكا والدول الغربية، ونقدم فى نفس الوقت لقطات من أسلوب الحياة التقليدية التى مازالت هى السائدة فى المجتمع اليابانى الحالى: كمراسم الزواج، ومراسم تقديم الهدايا، وتناول الشاى اليابانى، والكيمونو التقليدى الجميل، وتنسيق الزهور «الايكيبانا»، ولن ننسى عرض بعض المعلومات التى تهم النصف الحلو من مجتمعنا عن اللؤلؤ وزراعته وأسلوب اختياره والمحافظة عليه.

سيتعجب القارئ معنا، وهو يرى مسافة الفرق الشاسع - تاريخا وسلوكا - بين هذه اللقطات «التقليدية» وبين ما حققه المجتمع اليابانى من تفوق ساحق فى الصناعة والاقتصاد، مما جعل العجز فى الميزان التجارى الأمريكى لصالح اليابان يبلغ ٦٦ مليار دولار فى مارس ١٩٩٥، هذا التفوق نتج عنه كراهية وحقد دفع بعض الكتاب الأمريكيين إلى الحديث عن الفرد اليابانى واصفين إياه «بأنه الجاسوس الصغير الأصفر ذو الكميرا والأجهزة الالكترونية».

الفصل الأول

الديـــن:

يلعب الدين دوراً رئيسياً فى حياة الإنسـان اليابانى، ونـظراً لاتباعه تعاليم «ديانته» بصدق وتنفيذها بأمانة حتى فى عمله فقد تمكن المجتمع اليابانى من تحقيق التفوق الاقتصادى على كافة دول العالم.

تتكون الديانات السائدة فى اليابان من مذهب «الشنتو» وهو الديانة المحلية اليابانية، ثم البوذية تليها المسيحية.

يكفل الدستور اليابانى حرية الأديان، ولايوجد دين رسمى للدولة، وغالباً ماتتم احتفالات الميلاد والزواج وفقاً لمراسم «الشنتو»، أما مايتعلق بالوفاة والجنازات ومراسمها فتتم وفقاً للمراسم البوذية، والطريف أن اليابانى عندما يُسأل عن دينه فإنه يرد بأنه «لا دينى»، ولايكتب شيئاً فى خانة الدين باعتبار أن مذهب «الشنتو» ماهو إلا عادات اجتماعية يابانية تقليدية ومتوارثة عبر الأجيال، وأن البوذية تعتبر فلسفة أكثر منها ديناً، واليابانى يأخذ أمور الدين ببساطة، فهو يزور معبد الشنتو والمعبد البوذى وقد يزور الكنيسة المسيحية أيضاً، كل ذلك فى نفس الوقت ويقدم لكل مكان منهم الاحترام والتقديس.

(أ) «الشـــنتو»:

يشعر اليابانيون بتوحد مع الطبيعة منذ قديم الأزل، ويحاولون التعايش

معها بكوارثها كالزلازل والعواصف التى تتكرر كثيراً، مع قبول للحياة كما هى بمباهجها ومتاعبها وذلك بمشاعر من السعادة والرضاء، ويعتبرون أن الحياة والموت ماهما إلا مراحل من التطورات الطبيعية، وأنه ليس هناك تصادم بين الخير والشر، وإنما المهم هو اكتساب الإنسان لعنصرى الطهارة والنقاء مع الإيمان بوجود «كامى» أى قوى عظمى موجودة دائماً ومتعددة، أى ليست إلهاً واحداً.

نلاحظ مما سبق أن «الشنتو» هى أسلوب حياة يعيشها اليابانيون، و«الشنتو» تعنى لغوياً «طريق الآلهة»، وقد وجدت هذه الديانة قبل دخول البوذية التى قدمت اليابان من الهند عن طريق الصين وكوريا. عاش المذهبان ـ الشنتو والبوذية ـ سوياً حتى الآن دون أى تعارض، فالياباني يستطيع أن يكون بوذياً بالنسبة للعالم الآخر، ولكنه فى نفس الوقت من المعتقدين بمبادىء الشنتو وتقاليدها ومواقفها بالنسبة للحياة والطبيعة والسلوكيات اليومية مع احترامه وتقديسه «للكامى».

* «الكامى» :

ترجع الأساطير نشأة الجزر اليابانية لوجود إلهين، ونتيجة للحب «الطاهر» ظهرت الجزر اليابانية ومجموعة أخرى من الموجودات من أهمها «الشمس المشرقة» "Sun Goddess" . وفقاً للمعتقدات الشنتو فإن مؤسس السلالة الإمبراطورية هو سليل الشمس المقدسة، وقد وصل للأرض مروراً «بالكوبرى العائم» بين الأرض والسماء، ولعل هذه الفكرة تبرز فلسفة «الشنتو» بأن الأرض والسماء وثيقتا الارتباط، وأن الاتصال بين الاثنين ممكن. تترجم كلمة «كامى» عادة إلى كلمة الإله أو الروح، ولكنها فى فلسفة الشنتو إنما تعنى «شيئاً» له القداسة، وهو موجود فى الحياة اليومية، ويؤثر فى الإنسان بحيث يبعث فيه مشاعر الاحترام والقداسة أو مشاعر الغموض والانبهار.

تقوم فلسفة «الشنتو» على التفرقة بين ماهو نقى "Pure" وماهو ملوث "Polluted" وذلك بدلاً من فكرة الخير والشر، وفى الشنتو لاتوجد جهنم أو محاكمة أو عذاب فى الآخرة، ويعتبر الموت خطوة عادية تنتهى بجسم المتوفى إلى منطقة «ملوثة»، أما روح الميت فقد أطلق سراحها من قيودها المادية لتصبح مرة أخرى جزءاً من قوى تكوين الطبيعة.

تهتم «الشنتو» بالحياة أكثر من اهتمامها بما بعد الموت، ولذلك تتعدد الاحتفالات الدينية والمناسبات التى يزور فيها اليابانيون المعابد بحيث تتدعم دائماً الصلة بين الفرد و«الكامى» فى إطار من البهجة والبساطة والتعاطف، وأغلب الإجازات الرسمية فى اليابان لها جذور من مناسبات «الشنتو»، وسنعرض لبعض الحالات التى تحكمها هذه المعتقدات:

١ ـ حالة الولادة الأولى:

تزور الزوجة الطبيب إذا تأخر الحمل، ولكن الأهم هو زيارة معبد «الشنتو» المعروف عن «الكامى» الذى يرعاه بأنه يختص بمساعدة الزوجين على الإنجاب. تذهب الزوجة وأسرتها إلى المعبد، وقبل المدخل يتطهرون بالماء بالمضمضة وغسل الأيدى، وعند الدخول يصفقون بالأيدى ثلاث مرات لإخطار «الكامى» بوصولهم، ثم يقومون بالدعاء، ويقدمون الهدايا الرمزية والبخور، ويطلبون من «الكامى» بركته لكى يأتوا «بالذرية الصالحة»، وكثيراً ماتستجاب الدعوات ويصل المولود، وهنا يجب زيارة المعبد مرة أخرى بعد الولادة للشكر وخلق «الرابطة» بين الطفل وزيارة المعبد.

٢ ـ سبعة وخمسة وثلاثة "Shichi - Go - San":

تقيم الأسرة حفلاً فى معبد «الشنتو» فى تاريخ محدد هو ١٥ نوفمبر من كل عام، وذلك احتفالاً بالبنات اللاتى بلغن سن الثالثة أو السابعة فى هذا التاريخ، وللأولاد الذين بلغوا الخامسة.

تتجمع العائلات ومعها البنات والأولاد الصغار فى ملابسهم التقليدية

المبهرة، ويكون عيداً بهيجاً يشتركون جميعاً فى الاحتفال به بعد أن يقوم الراهب بمباركة الأولاد والبنات الذين بلغوا هذا العمر، وبعد ذلك يبدأ فى الميدان أمام المعبد اللهو واللعب وشراء الهدايا التذكارية والأكل، وهى ذكر تحفر فى حياة الأطفال، وتجعل من زيارة المعبد مستقبلاً نوعاً من البهجة والسعادة.

٣ ـ الامتحانات:

يواجه الأبناء فى كافة أعوام الدراسة وخاصة التى تسبق دخول الجامعة مايسمى فى اليابان «جحيم الامتحانات»: "Examination Hell" وهى امتحانات صعبة تقام لاختبار المتقدمين لكافة مستويات التعليم سواء لدخول الحضانة أو المدارس الابتدائية أو الثانوية، وهى المدارس المتميزة ذات السمعة الجيدة، وكذلك اختبارات دخول الجامعات العريقة (جامعة طوكيو، كيوتو) التى تضمن لخريجيها أرقى المناصب فى الدولة ودوائر الأعمال. تثير صعوبة اختبارات القبول وماتحتاجه من تحصيل إضافى للعلوم الانبهار لدى الباحثين الغربيين، وقد علق عالم أمريكى أنه بعد أن حضر الاختبار الذى يمر به الطفل الذى يرغب أهله فى إلحاقه بالحضانة وكان يتضمن أسلوب أكله واستخدامه للأطباق وعصايتى الأكل وكوب الماء وأسلوب الجلوس، بل ويدخل فى الامتحان أيضاً أسلوب تعامل الطفل مع «الحمام» ومدى نظافته، علق الخبير على ذلك بأن نسبة كبيرة من «البالغين» الأمريكيين وليس «الأطفال» كانوا سيفشلون يقيناً فى اجتياز هذه الاختبارات.

يبذل التلاميذ والطلبة مجهوداً يفوق طاقة الإنسان العادى، ويحضرون دراسات إضافية فى فصول متخصصة للإعداد لهذه الاختبارات، ولكن الجميع لاينسون الخطوة الهامة جداً وهى الالتجاء إلى معبد معين «للشنتو» يعتبر «الكامى» الخاص به هو راعى الطلبة والطالبات، ويتزاحم الجميع قبل مواسم الامتحان فى المعبد لتقديم فروض الولاء والتبجيل، والدعاء بإخلاص. تذكرنى هذه الفقرة بما يحدث فى مساجدنا عند اقتراب امتحان «التوجيهية»، حيث

يمتلىء المسجد تماماً بالكثير من الشباب، وعندما يدعو الخطيب لأبنائنا بالتوفيق فى الامتحانات، يردد الجميع بصوت يتصاعد لعنان السماء «آمين.. آمين» آملين أن يتقبل الله الدعاء.

٤ ـ يوم أرواح الأهل "Obon" :

يحدث فى شهر يوليو من كل عام فى اليابان حالة تكاد تقترب من الهجرة، حيث يسافر الناس إلى قراهم وموطنهم الأصلى ليحضروا هذا الاحتفال ويسمى يوم «أرواح الأهل». يعتقد اليابانيون أن أرواح أقاربهم الموتى تعود فى هذه الفترة إلى منازلها الأرضية حيث يستقبلها الأهل بالترحاب والاحتفالات.

تضع الأسرة شعلة صغيرة من النيران فى مدخل البيت من الخارج، وتقدم الهبات إلى نموذج المعبد المقام داخل المنزل والهبات عادة ماتكون بعضاً من ثمرات فاكهة الموسم مع البخور. يؤمن اليابانيون أن أرواح الأهل تسترشد بالشعلة، وتدخل إلى المنزل وتحيط بالمعبد الصغير «المنزلى» وبهم، لتباركهم وتعيش معهم هذه الفترة، وبعد يومين يعاد إيقاد الشعلة خارج المنزل لتعرف الأرواح طريق العودة إلى مقرها الدائم.

أما فى البلاد التى تقع على بحر أو نهر، فإن العائلات تستكمل احتفالاتها على الشاطىء، فيقضون اليوم فى مرح وسعادة مع اجتماع شمل الأسرة، وقبل الغروب تقترب العائلات من الماء، وتضع فانوساً ملوناً من ورق معين وبداخله شمعة صغيرة مضاءة ليعوم فوق الماء كتحية لأرواح الأهل الذين احتفلوا معهم طوال اليوم وحان موعد عودتهم، وفى مظهر مبهر أخاذ تتهادى الآلاف من فوانيس الورق الملونة، وكل منها مضاء من الداخل بشمعة، والرياح تهزها فى رفق على سطح الماء، والصمت والروحانية تخيمان على المكان وعلى الحضور.

٥ ـ الأرواح المشاغبة :

لاحظ المسئولون فى طوكيو أخيراً ارتفاع نسبة الانتحار فى أحد الأحياء

السكنية وذلك بالقفز من أعلى المبانى، وفشلت كل الوسائل المعتادة للقضاء على هذه الظاهرة.

قرر رهبان «الشنتو» وجود بعض الأرواح المشاغبة فى المنطقة وجرى تهدئتها بعمل احتفال دينى صغير بالمنطقة، وقام الراهب ببعض التلاوات الدينية، ثم استخدم عوداً أخضر من النبات معلق به شرائط من قماش أو ورق، وكرر تحريك هذا العود من اليمين إلى اليسار وبالعكس، وهو يردد أدعيته، وفعلاً انعدمت حالات الانتحار ـ كما قيل لنا.

تستخدم نفس هذه الطريقة لمباركة أى مبنى جديد، أو سيارة حديثة وذلك بهدف أن يطرد بعيداً عنها «الملوثات الروحية» أو «الأرواح الشريرة». وتعتبر المضمضة بالماء مع غسل الأيدى نوعاً من التطهر، وهو إجراء لابد من اتباعه عند دخول أحد المعابد. ورش الملح وسيلة أخرى للتطهر، وهو يعتبر جزءاً رئيسياً من مراسم رياضة «السومو» التقليدية فى اليابان، كذلك لابد أن يقوم كل فرد فى فريق «البيسبول» اليابانى بزيارة المعبد والتطهر والحصول على «البركات» قبل بداية المباريات وذلك توقياً «لمداعبات» أى «أرواح شريرة مشاغبة».

(ب) البوذية:

نشأت البوذية فى الهند، ووصلت اليابان عن طريق الصين وكوريا، وهى فلسفة تناقش الخلود فى حياة لانهائية من تناسخ الأرواح، وتتسم هذه الحياة بالآلام والمتاعب التى يمكن التغلب عليها بواسطة اتباع تعاليم «بوذا» حتى يصل الإنسان بعد تدريب شاق إلى مرحلة «النرفانا» أى التوحد مع «القوة العظمى» فى حالة من الرضاء والسكينة والسعادة. ولاتعترف البوذية بوجود إله، وإنما على الإنسان أن يجاهد نفسه ليصل إلى السكينة أو كما قال «بوذا» المُعلِّم: «لسنا جميعاً إلا قطرات ماء تنساب فى محيط السلام الأبدى، وعلينا أن نسعى جاهدين للوصول إلى هذا السلام».

(جـ) مذهب «الزن» "Zen":

تعتبر عقيدة «الزن» مذهباً من مذاهب البوذية نشأ وترعرع وانتشر فى اليابان، وهو يقوم أساساً على فلسفة التأمل والبساطة والالتصاق بالطبيعة، والانضباط الصارم للنفس عن طريق ممارسة رياضة التأمل الصامت. يقول رهبان «الزن» أن هدفهم هو البحث عن الحقيقة التى لاتدرك ولا تشرح بالكلمات، وأنما بالممارسة الجادة بحثاً عن التنوير وراحة النفس واستضاءة القلب.

يقوم رهبان «الزن» بتدريباتهم للتخلص من العقبات الخمس، وهى: «التملك ـ الجنس ـ حب الطعام ـ حب العظمة ـ والندم»، فيبدأ يومهم بالاستيقاظ الساعة الثالثة والنصف صباحاً على صوت جرس صغير يدقه راهب وهو يسير بسرعة فى الطرقات. يهرع الجميع إلى قاعة العبادة حيث يجلس كل منهم جلسة التأمل على الحصير، وعليه أن يركز التفكير فى «لاشىء»، إنما ينظر إلى داخله متأملاً. يوجد فى القاعة راهب يشرف على المجموعة، ويمسك بعصا طويلة خفيفة ينزل بها على كتف الراهب المتعبد إذا أحس أن الأخير قد بدأ يفقد تركيزه فى التأمل الداخلى، أو بناء على إشارة طلب «المساعدة» من المتعبد نفسه لو أحس بحاجته إلى التركيز بمساعدة العصا.

يتناول الرهبان الطعام ثلاث مرات يومياً، بكميات قليلة وغالباً ماتكون من الأرز المسلوق، ويعتبر هذا الطعام مجرد وسيلة للمساعدة فى الاستمرار فى العبادة، وليس كغذاء يجوز الاستمتاع بمذاقه. يعتبر العمل جزءاً من العبادة، ولذلك يوزع العمل فى المعبد على الرهبان، ويشترط أن تكون أعمالهم غير منتجة ـ كنس، مسح، تنظيف أو زرع الحديقة ـ ويحلق الجميع رءوسهم تماماً، وتنحصر حياة الرهبان فى العبادة ثلاث مرات طويلة يومياً، والعمل، ثم القراءة والإنشاد من الكتب الدينية.

يحاول اليابانيون نشر مذهب «الزن» بتقديمه على أنه رياضة روحية تسمو بالنفس، ولا شأن لها بالأديان ولاتتعارض معها، وتلقى هذه الفكرة نجاحاً من الغربيين الذين يحبون تجربة كل جديد مبهر، وخاصة أن ممارسة التأمل تتم فى إطار جميل من عناصر الطبيعة نظراً لارتباط عقيدة «الزن» بالطبيعة والجمال مما دفع الرهبان إلى اختيار مواقع معابدهم بجوار الشلالات والبحيرات وأعالى الجبال حيث الطبيعة الخلابة الرائعة الجمال.

الإمبراطور:

يعتبر الإمبراطور وفقاً لتقاليد مذهب «الشنتو» سليل آلهة الشمس المقدسة التى بدأت منها السلسلة الإمبراطورية الحالية. كان الإمبراطور يستمد قدسيته من هذه العلاقة التى حملت أتباعه على طاعته والخضوع له، والتضحية فى سبيله بالأرواح فى سعادة وبهجة.

توفى الإمبراطور السابق «هيروهيتو» عام ١٩٨٩ وخلفه فى يناير ١٩٨٩ ابنه الإمبراطور «أكهيتو» الذى ولد عام ١٩٣٣، ومما يذكر أن التاريخ فى اليابان ينسب إلى الإمبراطور الحاكم، ويبدأ العام الأول فى النتيجة اليابانية مع بداية حكمه، فيقال مثلاً إن الإمبراطور السابق توفى عام «شوا» السبعين وليس عام ١٩٨٩، ويعتبر الإمبراطور الحالى هو الخامس والعشرون بعد المائة من سلالة الشمس المشرقة.

عاش الإمبراطور السابق أدق فترات التاريخ اليابانى التى حملت أعمق التغييرات الجذرية فى حياة اليابان وحضارتها وثقافتها. كان الإمبراطور الراحل هو الإله المعبود، وهو قدس الأقداس، من تقع عينه على الإمبراطور شخصياً فلا كفارة ترفع ذنب الخاطئ إلا الانتحار بطريقة «الهاراكيرى» قرباناً واعتذاراً، وعندما يمر موكبه فى الشوارع فالكل ينحنى والعين مقفلة، أما صوته فهو سر دفين لايسمعه إلا الصفوة من رجال البلاط.

قامت الحرب العالمية الثانية، وتقدمت القوات اليابانية المحاربة وتفوقت، ثم دارت الدائرة وهزمت اليابان، وذاقت اليابان مرارة التدمير الكامل للقنابل الذرية فى «هيروشيما ونجازاكى». عرف الشعب معنى الرعب، ومفهوم الإبادة والخراب الشامل، ورغم مقاومة العسكريين إلا أنه وضح أن هزيمة اليابان قد تأكدت، وفى هذه اللحظة التاريخية الحاسمة ظهر «الإله المعبود» فى أغسطس ١٩٤٥ ليختار التسليم ليحفظ شعبه من الإفناء، ويتحدث الإمبراطور لرعاياه عن طريق الإذاعة اليابانية، ولأول مرة فى التاريخ تستمع الرعية لصوت راعيها المعبود وهو يطلب منهم التسليم والقبول بالأمر الواقع، ويقول كلمته المليئة بالانفعالات: «من الحكمة أن نتحمل ما لايمكن احتماله، فإن ذلك أفضل من سفك المزيد من الدماء». ونلاحظ الأسلوب اليابانى فى التخاطب، فهو لم يذكر كلمة الهزيمة أو التسليم وسيرد تفصيل ذلك عند الحديث عن اللغة اليابانية. ويعلم المنتصرون أنه لولا هذه الرسالة الإمبراطورية لاحتاج الأمر لمزيد من الزمن والجهد والدمار لإنهاء الحرب.

تتوالى خطوات التاريخ، وينتقل الإمبراطور بشخصه ـ كإنسان ـ إلى مقر القائد الأمريكى المنتصر «ماك آرثر» وقد أصبح هو الإله الجديد لليابان. يقدم الإمبراطور للقائد الأمريكى التحية والاحترام ويوقع الوثائق ويعود لقصره تحوطه دموع رعاياه وقد أصبح فرداً عادياً. ويصاب الشعب اليابانى بصدمة نفسية، ويتوقف الزمن، وتهيم أرواح الأجداد، وتغرب الشمس المشرقة ليعلم الجميع أن عصراً قد ولى، وأن زلزالاً تاريخياً قد حدث، وأن الإله المعبود قد أصبح الآن إنساناً يمارس دوره المراسمى فقط فى الحكم بنص الدستور الجديد الذى وضعه المحتل، ولم يبق له سوى مقابلة الوزراء والسفراء، وإن استمر فى قلوب شعبه المؤمن بالتقاليد العريقة رمزاً للوحدة وللعراقة والأصالة اليابانية، ويصبح شعار الجميع ـ رغم الألم ـ «الكرامة رغم الهزيمة».

يبرز الإصرار على الحياة وعلى التفوق من براثن الهزيمة بعد فترة

قصيرة، ويردد اليابانيون «لن تتكرر» أى لن تتكرر الهزيمة، وفعلاً يعمل الجميع بروح واحدة وبفدائية، ويحققون بعد ذلك بالصناعة والاقتصاد ما لم يستطيعوا تحقيقه بالوسائل الحربية ألا وهو التفوق والانتصار.

وتتوالى الصور، ونسترجع سنوات مضت لنراقب ولى العهد - الذى أصبح الإمبراطور الحالى - وهو يعيش فى ظل الاحتلال الأمريكى المسيطر، وقد أصبح والده الإمبراطور مجرد إنسان يرمز لوحدة الوطن. مارس ولى العهد حياته فى مجتمع قد اختلفت مقاييسه وانقلبت موازينه، وتباينت مقدساته، وكانت المفاجأة الكبرى يوم أن خضع لمشاعر قلبه عندما أحب زميلته فى ملعب التنس وتزوجها رغم معارضة الكثيرون بحجة أنه سليل الشمس المقدسة وأنها مجرد فتاة جميلة من عامة الشعب - والدها من كبار رجال الصناعة. تمر الأيام وينصب ولى العهد بعد وفاة والده عام ١٩٨٩ وتصبح زوجته التى اختارها قلبه من «عامة الشعب» إمبراطورة تحيط بها كل مظاهر التكريم والتبجيل الإمبراطورى.

لا يسعنى أن أنهى الحديث عن الإمبراطور كرمز لليابان دون أن أسرد تجربتى الشخصية مع الإمبراطور الراحل «هيروهيتو». عملت سفيراً لمصر فى اليابان لمدة أربع سنوات، ومن القواعد المراسمية المتبعة أن السفير الذى يمضى أكثر من سنتين فى اليابان يكون له ومعه زوجته شرف حضور حفل غداء خاص مع الإمبراطور، يحضره عدد لايزيد عن عشرة أفراد. كان موقعى على المائدة على يمين الأمير شقيق الإمبراطور الذى يجلس فى المواجهة، وزوجتى على يمين الإمبراطور الراحل، ومعنا سفير آخر وزوجته وعدد محدود من كبار رجال البلاط والمترجم. ساد الحفل من أوله روح رائعة تسودها البساطة والتواصل الإنسانى، وكانت لنا فرصة الحديث المنفرد مع الإمبراطور قبل وبعد الغداء.

أحاول الآن - عبثاً - أن أتذكر أنواع الأطباق التى قدمت لنا، أو ماتناولناه من طعام، ولكننى أتذكر بدقة كل كلمات الإمبراطور وكل انفعالاته فقط، أما المأكل

فيبدو أن الطعام لم يكن هدفى ساعتها. حكت لى زوجتى عن الحديث الذى دار بينها وبين الإمبراطور، وكيف سألها عن أبنائنا واهتماماتهم ودراساتهم، واستمر الحديث حتى وصل إلى الأرز كطعام رئيسى فى اليابان، وتتابعت أسئلة الإمبراطور عن الأرز فى مصر وأسلوب طهيه حتى وصل الأمر إلى «برام الأرز» ، و«الأرز بالخلطة» ، و«الأرز باللبن» ، والإمبراطور سعيد بهذا الحديث البسيط البعيد عن الرسميات. أبدت لى زوجتى استغرابها لأن الحديث كان يتوقف فى لحظة ما ثم يعود الإمبراطور ليواصل الحديث أو السؤال من نفس النقطة التى توقف عندها بالتحديد، وهذا غير مألوف بالنسبة لكبار السن.

أما حديث الإمبراطور الراحل معى فكان عن مسائل عامة، حتى سألنى عن حياتى فى اليابان ومشاكلى فى العمل، ورددت عليه بأن عندى مشكلة كبيرة، وهنا حدث صمت لأن الإمبراطور غير مصرح له بالحديث فى السياسة، ولكننى استطردت شارحاً أن الحكومة المصرى توفد الدارسين المصريين للحصول على الدكتوراه فى فروع المعرفة المتقدمة فى اليابان، ونفاجأ بأنهم بعد حصولهم على الدكتوراه وقد اعتذروا عن العودة للوطن، وفضلوا الإقامة فى اليابان، وبالبحث عن الأسباب تبين لنا أن المسئول عن ذلك هو الحب الذى بين المبعوث المصرى وزوجته اليابانية التى أسرته بتقاليدها اليابانية، واحترامها الزائد لزوجها.

يضحك الإمبراطور من قلبه ضحكة كلها صفاء وبراءة فى أبوة حانية، وتنتهى هذه اللحظات الجميلة، ونحن سعداء وفخورون بأننا جلسنا وتناقشنا مع من كان إلى سنوات قريبة المعبود المقدس للشعب اليابانى، وكان بالنسبة لى كمصرى هو «الميكادو» الذى حفظت قصيدة المرحوم حافظ إبراهيم التى تتحدث عنه والتى جاء فيها:

لا تلم كفى إذا السيف نبا

صح منى العزم والدهر أبى

ثم يقول على لسان فتاة يابانية:

أنا يابانيـــــــة لا أنثنـــــى

عن مرادى أو أذوق العطبا

هكذا "الميكاد" قد علمنا

أن نرى الأوطان أمـا وأبــا

ملـــك يكفيـــه منـــه أنـه

أيقـظ الشرق فهـز المغربـا

و«الميكاد» تعنى «الميكادو» وهو الإمبراطور «هيروهيتو» الذى كان على رأس الدولة، وهو نفسه الذى كان لنا شرف الجلوس إليه.

***

الفصل الثانى

المرأة فى اليابان:

عندما نبدأ فى الحديث عن المرأة فى اليابان فإن أول صورة ترد على الخاطر هى صورة المرأة اليابانية بالكيمونو الجميل والابتسامة الرقيقة الخجول، ومشاعر التقديس والعبادة التى تحملها للرجل.

ونتذكر وقائع فيلم «مدام بترفلاى»، وكيف تقوم الزوجة اليابانية بخدمة زوجها، وتعطيه الحب والحنان، ولا تكف عن الانحناء والسجود له مع تنفيذ أوامره ونواهيه بلا مناقشة ولا تردد، فهو بالنسبة لها - كما نظن - الإله المعبود والسيد المطاع.

تدور فى عقولنا - نحن الرجال - بعض المقارنات غير المسموعة، ويتلهف كل منا للسفر إلى اليابان حيث يوجد كما نتصور جنة النعيم بالنسبة للرجل، فهل حقيقة أن المرأة اليابانية هى هذا النموذج الجميل الرقيق المسخر لخدمة الرجل؟

تبدو المرأة فى اليابان على حقيقتها جزءاً هاماً من المجتمع، ولها دورها الأساسى فى تقدم وطنها، فالبنت اليابانية تحصل على نفس مستوى التعليم الذى يناله الشاب، ويكاد عدد البنات يتساوى مع عدد الأولاد حتى نهاية المدرسة الثانوية، أما فى الجامعة فتزيد نسبة الشبان عن البنات.

ومايزال المجتمع اليابانى حتى اليوم يرى أن الهدف من التعليم بالنسبة

للفتاة هو جعلها أكثر استعداداً للقيام بأعباء الحياة الزوجية. تلتحق الفتاة عادة بالعمل بعد انتهاء الدراسة، والملاحظ أن نصف عدد النساء فى سن العمل يشتغلن فعلاً، و٦٠٪ منهن يعملن فى مشروعات خاصة تقوم بها الأسرة مجتمعة مثل إدارة مطعم صغير، متجر صغير، محل بقالة، مغسلة أو محل لكى الملابس، أما النسبة الباقية فيعملن فى المصالح الحكومية أو فى المصانع والمؤسسات العامة أو الخاصة.

الملاحظ أن جهات العمل - عدا المشروع العائلى - تفضل دائماً تشغيل العامل الرجل لأنها تقوم بتدريبه على برامج متقدمة فنياً للاستفادة من خبرته المكتسبة لصالح الشركة مدى الحياة، ولذلك تحجم المؤسسات عن تدريب الفتيات لأنهن يتركن العمل فور الزواج، وبالتالى ضياع النفقات التى تتكبدها جهات العمل فى برامج التدريب. وتشكو الفتيات الجامعيات من أنه يعهد إليهن بتقديم المشروبات لزملائهن فى المكاتب والقيام بأعمال الاستقبال والترحيب المراسمية أو أعمال السكرتارية البسيطة.

رغم شكوى الفتيات إلا أنه من الملاحظ فعلاً أن الفتاة تستقيل من عملها بعد الزواج مباشرة، مفضلة القيام بأعباء الزوجية ومايتلوها من مسئولية تربية الأولاد والإشراف على دراستهم، وضمان تفوقهم بحيث أنها تعتبر فشلهم فى الدراسة ناتجاً عن إهمالها، وتوجد حالات غير قليلة لجأت فيها الأم للانتحار نتيجة لفشل أولادها فى الدراسة.

تلجأ المؤسسات عادة إلى تشغيل المرأة لفترات مؤقتة بحيث تتقاضى أقل من نصف أجر زميلها، وتكون هى أول من تستغنى عنه الشركة فى حالة الرغبة فى توفير نفقات العمالة. يبلغ متوسط عمر المرأة فى اليابان ٧٩ سنة، ونسبة المواليد أقل من طفلين للأم الواحدة، وعادة ماتعود المرأة اليابانية للبحث عن عمل بعد أن يكبر الأولاد وتجد أن لديها الوقت الكافى لممارسة العمل وزيادة دخل الأسرة، فتلجأ اليابانية إلى التخصص فى أحد الفنون اليابانية التقليدية مثل ترتيب الزهور، ترتيب حفلات الشاى التقليدية، صناعة

العرائس، عمل الألعاب الورقية، أسلوب إعداد الأطعمة اليابانية، كتابة الخط الياباني القديم، أو تعليم عزف الآلات الموسيقية اليابانية.

تقوم اليابانية باستغلال وقت فراغها بإعطاء دروس للأجانب أو لليابانيين في مختلف أنواع الفنون اليابانية التي درستها، وبذلك يكون لها مصدر دخل معقول، ووسيلة مفيدة لشغل وقت الفراغ.

حركات تحرير المرأة:

لم تحقق حركات تحرير المرأة تقدماً كبيراً في اليابان رغم الدعاية التي تمارسها هذه الحركات في وسائل الإعلام، ورغم أن القانون الذي وضعه المحتل الأمريكي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ينص على المساواة بين الرجل والمرأة.

يصدم الباحث الذي يحاول دراسة وضع المرأة في اليابان عندما يجد أن معظم النساء اليابانيات اللاتي يتزعمن هذه الحركات قد استبعدت تماما منذ البداية استخدام أي وسائل تكتيكية تعتمد على عنصر المواجهة، وتشرح السيدة «متسوكو شيمومورا» رئيسة أكبر تجمع نسائي هذا الرأي بقولها «عندما تريد في العالم الغربي أن تغير من البناء الاجتماعي، فعليك أولا أن تحارب وأن تتحدى النظام القائم، ولكن في المجتمع الياباني الذي تتحكم فيه المفاهيم التقليدية الموروثة فمن المؤكد أنك إذا استخدمت أسلوب التصادم، فإن ذلك يعني النهاية بالنسبة للفكر الذي تدعو له حيث لايصلح التصادم للوصول إلى الهدف الذي تنشده في اليابان. فالمفروض أن تعمل بهدوء ومرونة دون أي احتكاك أو تصادم مع الأمر الواقع الموجود في المجتمع، وذلك في محاول هادئة لتغيير الأفكار، والحصول على الموافقات، وتفهُّم الرسالة التي تدعو لها حتى يمكن الوصول إلى توافق آراء حول الفكرة باستخدام أساليب هادئة».

رغم نظرية الكفاح السلمى الذى تعتنقه جمعيات تحرير المرأة إلا أن الحقيقة أن المرأة اليابانية وخاصة المتعلمة منهن تخفى حاليا ثورة نفسية عارمة تحت مظاهر الهدوء والاستكانة التى تتظاهر بها.

والمرأة هى القائد الأعلى بالنسبة للأسرة، وهى ترى أن الزوج الممتاز هو «الزوج السليم صحيا، والغائب عن منزله معظم الوقت». يقضى العرف بأن الزوج يسلم الزوجة كل مرتبه ـ طبعا الجزء المعروف لها فقط ـ وهى التى تتولى ميزانية المنزل، والصرف على متطلبات الأسرة، وادخار نسبة ٢٠٪ تقريبا لمواجهة المستقبل، وتعطى زوجها مصروفه الشخصى المتواضع.

تعتبر الزوجة هى المسئولة عن المهام الجسام فى الأسرة، فهى المسئولة عن تدبير نقود لشراء مسكن للأسرة أو سيارة أو الآلات المعمرة للمنزل، وهى المسئولة عن اختيار مدارس الأولاد، ومتابعة دراستهم والاتصال بالمدرسين، وحضور إجتماعات مجالس أولياء الأمور، والزوجة هى التى تمثل الأسرة فى جمعية الحى وتشترك فى المداولات والقرارات لتحسين مستوى الخدمات بالحى.

تتحكم التقاليد اليابانية فى حياة الأسرة، فالرجل يقدس عمله، ويقضى فيه أوقاتا إضافية حتى دون الحصول على أجر إضافى، ويعقب الانتهاء من العمل أن تتجمع كل مجموعة فى أحد المشارب لتناول بعض المشروبات فى جو بعيد عن رسميات العمل، وتناقش مشاكل العمل فى جو ودى بين المرءوسين والرؤساء.

تزيد هذه العادة الاجتماعية علاقات المودة والولاء وروح الجماعة بين أفراد المؤسسة الواحدة، ولكن يترتب عليها أن يصل الزوج متأخرا إلى منزله مما يحرمه من رؤية أولاده، والإشراف على تعليمهم وتربيتهم تاركا كل ذلك للزوجة المكافحة، ومن الطريف أن الزوجة التى يعود زوجها للمنزل مبكرا تحس بالإحباط وخيبة الأمل لأن عودة زوجها مبكرا تعنى أمام جيرانها أنه

ليس من العناصر الهامة فى المؤسسة التى يعمل بها. بحيث لاتدعو الحاجة إلى اجتماعه بالزملاء الآخرين، أو أنه يعمل فى شركة ضئيلة الأهمية ليس لها تقاليد الشركات العريقة التى تتلاقى مجموعاتها بعد العمل.

ونظرا لحرص المرأة اليابانية على حقوقها كاملة بالنسبة للاستيلاء على مرتب الزوج كله، وقيامها بإعطائه مصروفه الخاص فى الحدود الضيقة التى تتناسب مع مرتبه واحتياجات الأسرة، فقد لجأت الشركات النشطة إلى طريقة ذكية لضمان ولاء الأزواج للشركة وهى إعطاؤهم حوافز نقدية بصفة سرية حتى لايصل خبرها للزوجة وذلك فى غير المواعيد المعروفة للحوافز السنوية المعتادة.

والمرأة اليابانية تحب السلطة والسيطرة، فهى المسيطرة على الأبناء، وهى الموجهة لهم خلال كافة مراحل عمرهم، وعندما يتزوج الابن فسرعان ما ينشأ تنازع بين السلطة القديمة، والسلطة الجديدة - الزوجة - ينتهى دائما بانتصار الأم التى لا تسمح لقوى غريبة أن تنازعها فى حق السيطرة، وعلى الزوجة أن تقدم فروض الولاء والطاعة للأم حتى يأتى الله أمرا كان مقضيا.

الــــزواج:

أقر القانون المدنى اليابانى الذى تقرر بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٧ مبدأ المساواة بين الزوج والزوجة، وألغى نظام إلزام الزوجة بالإذعان لإرادة وسلطان زوجها، وتم الاعتراف فى القانون «بالملكية المنفصلة للممتلكات» أى أن ملكية الزوج منفصلة عن ملكية الزوجة، وتقرر أن الزواج يقوم على أساس الموافقة المشتركة من الشريكين بشرط بلوغهما ٢١ عاما على الأقل، وقرر القانون أن الحد الأدنى لسن الزواج هو ١٦ سنة للبنات و١٨ سنة للشبان، والمعتاد حاليا أن يكون متوسط السن عند الزواج هو ٢٥ سنة للإناث و٢٨ سنة للذكور.

النصيحة الغالية التى توجهها الأم لابنتها تقول «إن الزواج أمر جدى للغاية، ولا يؤخذ ببساطة لمجرد بعض مشاعر الحب المتبادل»، وتتم حوالى ٧٠٪ من حالات الزواج عن طريق «الوساطة» التى تشبه نظام «الخاطبة» عندنا وتسمى «الوسيطة» "Nakoda".

«الخاطبة» اليابانية مسئولة أن تراعى القواعد الأساسية بالنسبة للسن، ومركز الأسرتين الاجتماعى والمالى والهوايات، وأخيرا وليس آخرا درجة جمال البنت، ولو أن هذا العنصر كثيرا ما يأتى فى ذيل القائمة. تلجأ الخاطبة ـ وهى عادة من الأصدقاء أو المعارف وليست محترفة لهذه المهنة ـ إلى عرض الصور على الأسرتين مع بعض البيانات للحصول على الموافقة المبدئية، ثم تقوم بعد ذلك بترتيبات لعمل لقاءات للأسرتين فى المحلات العامة للتعارف.

يترك «للواسطة» بعد ذلك مسئولية التقريب بين شروط العائلتين، وإجراء المفاوضات على التفاصيل بأسلوب غير مباشر عن طريقها، ورغم كل التقدم التكنولوجى فى المجتمع اليابانى وخروج المرأة للعمل مع زملائها الشبان إلا أنه مازالت النسبة الكبرى من الزواج تتم بهذه الطريقة التقليدية، وتؤكد المعتقدات اليابانية ـ حتى وقتنا الحالى ـ حكمة هذه الطريقة فى اختيار شريك الحياة بالقول بأن «هذه الطريقة تساعد على حسن الاختيار وفقا للواقع والظروف الموضوعية، أما الحب فسيأتى فيما بعد».

توجد نسبة محدودة يتم زواجها عن طريق التعارف فى أماكن العمل خلال الأنشطة الاجتماعية التى تقدمها المؤسسة وقد ظهرت أخيرا بعض مراكز الزواج التى تعمل بالكمبيوتر وتقوم بتخزين المعلومات عن طالب وطالبات الزواج، وتقدم خدمتها لاعضائها مقابل رسم عضوية تسمح للعضو بمعرفة المرشح أو المرشحة الذى يتوفر فيه أو فيها الشروط المطلوبة. ويتقابل الطرفان فى أحد الأماكن العامة لعل وعسى أن تكون البيانات التى سجلها الكمبيوتر حقيقية، وتجد قبولا لدى الطرف الآخر.

إذا نجحت مثل هذه الزيجة، فإن المركز يقدم لأعضائه خدماته بالنسبة لحفلات الزواج ولرحلة شهر العسل فى الخارج ـ غالبا فى هاواى ـ بالتقسيط المريح.

يتم الجانب الرسمى من الزواج فى أحد معابد «الشنتو»، ويتناول العروسان كأسا من «الساكية» ـ المشروب الوطنى المصنوع من الأرز المختمر ـ بعد أن يباركه الراهب فى حضور أفراد قلائل من الأسرتين، ثم يقام الاحتفال بالزواج فى إحدى قاعات الفنادق أو فى المراكز المتخصصة فى إعداد قاعات الأفراح مع كافة الأنشطة والخدمات التى يحتاجها هذا الاحتفال.

تحدد الأسرتان موعد «الفرح» بعد أن يختارا من «نتيجة المعبد» يوما سعيدا، فهناك أيام تحمل طابع الشؤم لا يجوز فيها إقامة الأفراح ويجب تجنبها. ويبدأ الاحتفال بوصول العروسين إلى مركز الاحتفالات، ويدخل كل منهما إلى الحجرة المخصصة له والمعدة للاستعداد، ترتدى العروس كيمونو الفرح التقليدى الجميل والباروكة اليابانية المزينة والتى تلبس يوم الفرح فقط، وللعروس أن تختار إما متابعة التقليد القديم وهو لبس ثلاثة أردية من الكيمونو تباعا خلال الحفل، أو الخضوع لحكم الظروف الاجتماعية والاقتصادية فى العصر الحديث، والاكتفاء بلبس كيمونو واحد بألوانه الجميلة وقماشه المطرز بكثافة. ولوحظ فى الفترة الأخيرة أن بعض العرائس يرتدين بعد الكيمونو فستانا أبيض للفرح وفقا للتقاليد الغربية.

ويرتدى العريس فى غرفته اللباس التقليدى اليابانى، ويخرجان من الغرف ليقودهما مسئول الإدارة إلى معبد «الشنتو» الصغير المقام فى المركز إذا لم تكن المراسم التقليدية قد تمت فى معبد خارج المركز.

يقف العروسان أمام الراهب ويركعان أمام نموذج المعبد، ثم يأخذان من الراهب كأس «الساكية» الذى يقدم قربانا لآلهة الزواج. يقوم كل من العروسين بارتشاف قليل من «الساكية» ثلاث مرات، لأنه فى الديانة الشنتو فإن رقم ثلاثة يعنى الحظ الطيب، وهو رقم محبب للآلهة فتستجيب للدعوات.

ينتهى هذا الاحتفال الرسمى فى مدة قصيرة ليصبح العروسين زوجان، وعليهما بعد ذلك تسجيل واقعة الزواج فى السجلات المدنية. يخرج العروسان من المعبد إلى القاعة المجاورة حيث يوجد «ستوديو» التصوير لالتقاط مجموعة من الصور لهم ومعهم أفراد الأسرتين. أثناء إنشغال العروسين بالخطوات السابقة، يتم إعداد البوفيه بالمأكولات فى قاعة الاحتفالات، ويحضر العروسان وأهلهما، وينشغل الفنيون بتسجيل هذه المناسبة بكاميرات الفديو المثبتة فى القاعة مع النغمات الموسيقية الحلوة التى تصدر من الأجهزة الحديثة.

نلاحظ أن مدير القاعة يكرر النظر إلى ساعته، فإن الاحتفال منذ دخول العروسين إلى المركز حتى إنتهاء الحفل يجب ألا يستغرق أكثر من ساعتين لإعطاء الفرصة لعروسين آخرين وأهلهم للمرور بنفس الخطوات المدروسة والمطبقة جيدا وبدقة تامة.

يقترب مدير القاعة من العروسين ويقودهما إلى «تورتة الفرح» التى ترتفع حوالى سبعة أقدام، وتلمع الأضواء الملونة، ويرتفع صوت الموسيقى، ويمسك العروسان بالسكين لقطع «التورتة»، ونلاحظ أن السكين لايجد مقاومة تذكر وهو يشق طريقه لنعرف بعد ذلك أن كل هذه التورتة مصنوعة من «البوليستر الصناعى» عدا مسافة صغيرة ـ هى التى يشقها السكين ـ تصنع من الزبد لتسهيل عملية القطع للعروسين.

يجلس العروسان إلى المائدة وحولهما الأهل، وتأخذ من قامت بالوساطة هى وزوجها مركز الصدارة تكريما وامتنانا من أهل العروسين، ثم تتوالى الخطب القصيرة من أصدقاء العروسين، ومن رؤسائهما بالمؤسسة، ويتبع ذلك الأغانى اليابانية العاطفية التى تليق بمناسبة الزواج وتتحدث عن الحب والسعادة، ويتناول المدعوون الطعام المعد وفقا لقائمة معينة تتحدد مفرداتها وفقا للمبلغ الذى تسمح به ميزانية الأسرة.

ينتهى الحفل ويحى العروسان الموجودين شاكرين ويبادلوهم تمنيات الحظ الطيب، مع مراعاة ألا يقول أى منهم «سايونارا» أى وداعاء لأن ذلك يعنى الفراق مما يعتبر نذير نحس. يصعد العروسان للغرفة المخصصة لهما للراحة قليلا، وبعدها يخرجان مع الأصدقاء إلى أحد الملاهى الليلية.

يشارك الأهل والأصدقاء عادة فى تحمل جزء كبير من نفقات حفل الزفاف ورحلة شهر العسل عن طريق الهدايا النقدية - نقوط - التى تقدم للعروسين، أو عن طريق الذهاب إلى المحل الذى حدده العروسان حيث يوجد كشف احتياجات الأسرة الصغيرة، ويشترى من يرغب فى المجاملة هدية أو جزءا منها وذلك من واقع الكشف ووفقا لمقدار المبلغ الذى يعتزم إهداءه للعروسين.

سيشعر الكثير من القراء بالغرابة لوجود نظام «الخاطبة» فى اليابان حتى وقتنا هذا رغم تقدم المجتمع، ولعل هذا يشجع على رواية حديث سمعته شخصيا يصلح كنموذج للعقلية اليابانية العملية. حدثنى أحد كبار المسئولين بوزارة الخارجية اليابانية أنه من المعتاد أن يتقدم أحد كبار رجال الأعمال أو الصناعة للسفير المسئول عن تعينيات وتنقلات الأعضاء الدبلوماسيين بالوزارة ليبلغه أن ابنته قد بلغت سن الزواج، ويقدم له صورتها وتاريخ حياتها ثم تفصيلات عن العائلة، ومركزها الاجتماعى وثروتها، ويطلب منه أن يرشح لها دبلوماسيا شابا لايشترط فيه إلا أن يكون مبرزا فى عمله وينتظره مستقبل ممتاز فى الدبلوماسية، أما الأعباء المادية فعائلة العروس كفيلة بتحملها، وبهذا العرض يجتمع عنصرا الثروة والوضع الاجتماعى فى المستقبل، وأكد محدثى أن هذا الاسلوب قد نجح مرات عديدة فى وزارة الخارجية وأدى إلى زيجات ناجحة.

الطلاق:

كان الطلاق فى اليابان منذ مائة عام إجراءا سهلا، لايحتاج إلا لسطر واحد

يكتبه الزوج لزوجته لتخرج من حياته تماما، واستمر هذا الوضع الذى نتج عنه زيادة نسبة الطلاق زيادة مخيفة حتى وضع دستور عام ١٩٤٧ ونص فيه على منع إجراء الطلاق بإجراء منفرد من الزوج، وبذلك حصلت الزوجة على بعض الأمان، وتناقصت نسبة الطلاق حتى عادت أخيرا إلى الارتفاع حتى وصلت إلى النسبة الموجودة فى أوروبا.

يرجع الباحثون حالات الطلاق حاليا إلى أن الأسر الصغيرة العدد يسهل عليها إنهاء الحياة الزوجية بسرعة، عكس الحال عندما كانت الأسرة تتكون من ثلاثة أجيال يعيشون سويا، وتحكمهم التقاليد والنظم اليابانية. يضاف إلى ذلك أن الزيجات التى تتم بأسلوب التعارف بين الزوجين بعيدا عن نظام «الواسطة» لا يصمد طويلا، لأن «الخاطبة» ترى من مسئوليتها حسن اختيار العائلتين اللذين يصلحان لبعضهما، وذكر المعلومات الصادقة الصحيحة التى تساعد على اختيار الشريك المناسب.

تتم أغلب حالات الطلاق حاليا بالاتفاق المشترك مع وجود شاهدين، ويسجل ذلك رسميا فى السجلات المدنية الرسمية، ولا يوجد حقوق مالية للزوجة نتيجة الطلاق فى هذه الحالة. وإذا التجأت الزوجة للمحاكم للمطالبة بالطلاق، وتمكنت من تحمل التعقيدات القضائية وطول المدة التى تستغرقها الدعوى فعادة لاتحصل سوى ١٠٪ من الزوجات على بعض الحقوق المالية نتيجة الحكم بالطلاق، ويخصص المبلغ لمواجهة الإنفاق على الأولاد ومسكنهم وتعليمهم ورعايتهم صحيا، ولكن لايجوز أن تحصل الزوجة على مبلغ محدد لمعيشتها شخصيا.

تدل الإحصاءات الحالية على أن الزوجة اليابانية تفضل الاستمرار فى حياتها الزوجية رغم ما قد تلاقيه من متاعب ومهانة من الزوج، لأنها تجد السلوى فى سيطرتها على أولادها، والقيام على رعايتهم وتعليمهم، وتحمل كافة مسئوليات الأسرة بما فيها رعاية الزوج المغضوب عليه، وخاصة أن الزوج - المحترم - حتى مع هدوء الحياة الزوجية فإنه متواجد دائما خارج

منزله حتى وقت متاخر فى الليل إما فى عمله أو فى المشرب ـ البار ـ مع اقرانه فى العمل، أو فى بيوت اللهو مع المضيفات بعيدا عن رتابة الحياة مع الأسرة.

المولود ومفهوم الأسرة:

يعتبر الطفل فى اليابان منذ مولده هو الملك المتوج، ومركز العناية فى الأسرة، والأم لاتترك رضيعها أو طفلها مطلقا، بل هو دائما ملتصق بها، وعند الخروج للشارع تحمله معها خلف ظهرها. والطفل يلقى من أمه فى فترة طفولته معاملة متساهلة إلى حد كبير يعكس أسلوب التربية الأمريكى الذى يواجه فيه الطفل بنظام صارم فى تناول الطعام، والنوم فى مواعيد محددة داخل غرفته وحده، وترعاه مربية غريبة من خارج الأسرة لاتعطيه الحنان الدافئ الذى يشعر به الطفل اليابانى وأمه تضمه إلى صدرها دائما.

تطعم الأم اليابانية طفلها كلما طلب ذلك وتلاعبه وتحادثه دائما حتى وهو لايدرك حديثها، وينام الطفل مع والديه حتى يكبر، ويستمر حنان الأم ورعايتها وسيطرتها الهادئة على طفلها، وتجعله دائم الاعتماد عليها حتى يدخل مرحلة الصبا. ينشأ الشاب اليابانى وقد تعود أن هناك من تعطيه الحنان الدافئ، وتخدمه وتلبى احتياجاته، وتشير عليه بالنصيحة والرأى بل وتعطيه أيضا التعليمات ،ولذلك يبحث عن هذا الحنان، وإلى من يقوم بتوجيه التعليمات له فى الجماعة التى يكون عضوا فيها، سواء فى المدرسة حيث يوقر الشاب معلمه وينفذ تعليماته ويسأله النصيحة ـ بديل للأم ـ، ثم يجئ بعد ذلك شعور الطاعة لكل مايصدره المجتمع من قواعد، أو ماتصدره الشركة من تعليمات.

تظهر نتيجة هذه التربية بوضوح فى العسكرية اليابانية واتسامها بالانضباط التام، وتنفيذ الأوامر مهما بلغت صعوبتها تنفيذا حرفيا، ولعلنا

لاننسى أنه بمجرد القاء القنابل الذرية على اليابان تحدث الامبراطور إلى شعبه بصوته في الإذاعة الرسمية - لأول مرة فى تاريخ اليابان - يطلب من القوات اليابانية إلقاء سلاحها والاستسلام، وتم ذلك فى سرعة وطاعة أذهلت المحتل الأمريكى.

مفهوم الأسرة:

ماهو مفهوم الأسرة؟، وماهى العلاقات بين أفرادها؟ تكون العلاقات فى الأسرة فى الدول الغربية هى مجموعة لعلاقات كل فرد كوحدة مستقلة بالأسرة، ومن مجموع هذه العلاقات يتشكل دستور الأسرة كجماعة.

أما فى اليابان فالأسرة تعتبر نظاما متكاملا غير قابل للتقسيم، فنجد المجتمع الصغير الذى يرتبط سويا برباط الدم، وكذلك بالعيش سويا كأسرة، ويتبع هذا إمكانية إنضمام أفراد جدد وحصولهم على العضوية فى هذا المجتمع وذلك عن طريق الزواج أو المولد. ليس المهم فى اليابان توفر رابطة الدم بين أفراد الأسرة، بل الأهم هو استمرارية بقاء الأسرة نفسها، وقد كان من المتبع فى أوروبا فى القرن الماضى أنه فى حالة وفاة أحد الاقطاعيين دون وجود وارث، فإن الإقطاعية تصادر لمصلحة الملك أو الحاكم. أما فى اليابان فإنه للمحافظة على بقاء الأسرة واستمرارية تملك مفردات الثروة، فإن المالك الذى لايرزق وريثا «يتبنى» ولدا فى العائلة ليعطيه اسمه ويكون له كافة حقوق الابن الشرعى عند وفاة الأب، وبذلك تضمن التقاليد اليابانية استمرارية الأسرة، والمحافظة على التركة بما فيها من أرض زراعية أو مصانع تحتاج لمن يضمن استمرارها فى الانتاج.

وما زال المجتمع اليابانى محافظا على هذه التقاليد العريقة، ولو أنه قد لوحظ فى الآونة الأخيرة بعد انتشار المدنية والاحتكاك بالحضارة الغربية، والرخاء الاقتصادى أن نزعة الفردية قد بدأت تنتشر فى جيل الشباب، وضعف

حافز المحافظة على التناغم فى المجموعات المحيطة بالفرد، وبدأت بعض المثاليات فى الاختفاء، ولجأت الأمهات إلى مدارس الحضانة التى انتشرت فى الأحياء لتستقبل الأطفال بعيدا عن أحضان الأمهات اللاتي فضلن العمل.

الوفـــاة:

يحصل أهل المتوفى على شهادة طبية بالوفاة، ثم يتصلون بالمتعهد المختص الذى يقوم بإعداد ترتيبات تجهيز الجثمان والجنازة ثم حرق الجثمان وتنشر الأسرة إعلانا فى الصحف بموعد الجنازة، ومكان إقامتها. يرتدى المعزون الملابس الداكنة وتراعى السيدات أن يكون التزين هادئا دون مبالغات «لونية»، ويفضل لبس الكيمونو الحريمى الأسود أو الملابس المحتشمة الداكنة مع تجنب لبس المجوهرات أو وضع العطور.

وفقا للعادات السائدة يقدم المعزون الهدايا لأهل المتوفى، وتختلف نوعية الهدايا وقيمتها وفقا لدرجة القرابة أو الصداقة، ومن المعتاد أن يوضع مبلغ من المال ـ بدل بخور ـ مع كرت باسم المهدى فى مظروف له حافة ملونة باللون الأسود، ويباع الكارت فى المكتبات، ويضع المشارك فى العزاء المظروف على المائدة الموجودة فى مدخل مكان العزاء.

يوضع جسد المتوفى فى إحدى الغرف ويغطى بغطاء أبيض، ويدخل المعزون فرادى، وينحنون تحية للمتوفى، ويخرجون بهدوء من الغرفة.

ينقل الجثمان بعد ذلك لمكان العزاء حيث تتم المراسم وفقا للعقيدة البوذية، ويقوم أحد الرهبان بمساعدة أعوانه بقراءة فقرات من الكتب المقدسة الخاصة بالبوذية، ثم يلقى كلمة عزاء لأسرة الفقيد وأصدقائه، ويتقدم الموجودون فى شكل طابور لإيقاد البخور ووضعه فى المكان المخصص له.

بعد انتهاء هذه المراسم، يرفع الصندوق الذى يحوى الجثمان، ويوضع فى

سيارة تنقله إلى المكان المخصص لحرقه ويسمى «المحرقة». ينتهى حرق الجثمان ويقدم أهل المتوفى منديلا به قليل من الملح لكل من الحاضرين وذلك لاستخدامه فى التطهر بإلقاء الملح على ملابسهم، واستخدامه أيضا فى «المضمضة» وذلك قبل التوجه للمنزل أو محل العمل. وتنصح التقاليد الأشخاص الذين يحضرون هذه المراسم بالتوجه لمنزلهم مباشرة، وتغيير كافة ملابسهم تجنبا لاستخدامها فى شئون الحياة مباشرة بعد أن استخدمت فى رحلة الموت رغم «التطهر» بالملح.

ووفقا للمذهب البوذى فإن أسرة المتوفى تحيى ذكراه فى اليوم السابع لوفاته، وكذلك فى اليوم الخامس والثلاثين، واليوم التاسع والأربعين.

تقبل العزاء عند وفاة المرحوم الرئيس السادات:

عرضنا لبعض مراسم الوفاة عند اليابانيين، ونقدم الآن لقطة أخرى تبين العادات اليابانية فى تقديم العزاء.

اغتيل المرحوم الرئيس السادات فى السادس من اكتوبر ١٩٨١، وأعلنت سفارة مصر فى طوكيو الحداد، وتوجهت فى الصباح الباكر للسفارة وقد نكس العلم المصرى على السفارة، ويتم ذلك برفعه إلى منتصف الصارى ـ فقط ـ الذى يرفع عليه. تم إعداد قاعات السفارة لاستقبال المعزين، ووضعت صورة الرئيس الراحل مجللة بالشرائط السوداء على مائدة فى واجهة القاعة، وحولها مجموعات من الورود البيضاء، وأمام الصورة وضع دفتر العزاء.

قاربت الساعة التاسعة صباحا، وبدأ توافد كبار المسئولين يتقدمهم رئيس الوزراء اليابانى لتقديم العزاء، وقيد أسمائهم فى الدفتر. أثار دهشة أعضاء السفارة كثرة عدد الأفراد العاديين الذين حضروا لتقديم العزاء، بل واتبع بعضهم تعاليم «الشنتو»، وتركوا مع كلمات العزاء مظاريف بها مبالغ نقدية،

وترك فريق آخر بعضا من أنواع الحلوى التى تقدم عادة فى اليابان لأهل المتوفى فى مثل هذه المناسبات الحزينة.

كان من أسباب تأثر الأفراد اليابانيين البسطاء بحادث الاغتيال هو إرتباط اسم الرئيس السادات بالسلام وفكرة إنهاء عصر الحروب، وهو الهدف الذى يحلم به اليابانيون بعدما أصابهم من دمار نتيجة إلقاء القنابل الذرية على «هيروشيما ونجازاكى» عند انتهاء الحرب العالمية الثانية.

انتهى العزاء وواجهت السفارة مشكلة الحلوى، وقمنا بتوزيعها على موظفى السفارة اليابانيين، أما المبالغ النقدية، فقد جمعت فى مبلغ واحد تبرعت به السفارة لجمعية خيرية يابانية، وأرسلت السفارة خطابات شكر للجميع مع صورة من إيصال التبرع لمن تكرم بتقديم هدية نقدية.

الانتحار:

يعتنق اليابانيون المذهب «البوذى»، ومذهب «الشنتو» المحلى وهى مذاهب تبحث عن السعادة فى الحياة، والصفاء الروحى والارتقاء والعيش فى سلام مع النفس ومع الناس. لايؤمن اليابانيون بفكرة الثواب والعقاب فى الآخرة، ولكنهم يعتقدون أنهم يؤلمون الآخرين إذا لم يقوموا بأداء الواجب المفروض من عليهم، ويشعر عدد كبير من اليابانيين بوطأة مايتحملونه من مسئوليات واجبة تجاه أسرهم، وتجاه المجموعات التى ينتمون إليها، بل ونحو المجتمع بوجه عام.

هذا الشعور المبالغ فيه بالإحساس بالواجب، وما يتبعه من نقد الذات أو جلد الذات يدفع نسبة كبيرة من اليابانيين رجالا ونساء إلى الالتجاء للانتحار، ويتقبل المجتمع اليابانى عملية الانتحار بمشاعر لاتخلو من تقدير وإعجاب وفهم وإشفاق، وفلسفة البوذية أو الشنتو لا تدين الانتحار ولا تجرمه،

وسنعرض فيما يلى لبعض حوادث الانتحار التى نعتبرها غريبة، وغير مبررة، ثم نشرح وجهة النظر اليابانية.

- إن تاريخ الحرب العالمية الثانية يسجل بإعجاب ماكان يقوم به الطيار اليابانى من توجيه طائرته لتصطدم بالباخرة الحربية المعادية ليضمن تدميرها تماما، وهو يعلم يقينا أنه سيدفع حياته ثمنا لذلك. وأطلق اسم «كامى كازى» أى «الرياح الالهية» على هؤلاء الطيارين الذين كانوا يتنافسون على القيام بهذه المهمة القتالية قربانا للامبراطور.

- حدث عقب هزيمة اليابان، وإعلان الامبراطور استسلام بلاده عام ١٩٥٤، أن قام عدد من المواطنين بقتل أنفسهم انتحارا بطريقة «هاراكيرى» أمام ساحة القصر الامبراطورى، وتعتبر هذه الطريقة هى أسلوب «الساموراى» فى الانتحار بشرف وكرامة، وتتم بفتح البطن بسكين أو خنجر صغير من اليسار إلى اليمين، ويقوم أحد الأصدقاء المقربين أو المساعدين بإتمام العملية بقطع الرقبة لتجنيب المنتحر الآلام الأخيرة.

- إذا أخفق الإبن فى دراسته، فإن الأم بصفتها هى المسئولة عن متابعة تعليمه تعتبر مقصرة فى واجباتها، وترى أنها أخطأت فى حق المجتمع، وقد تلجأ للانتحار تكفيرا عن هذه الخطيئة.

- الزوج أو الأب الذى أدمن المخدرات أو المسكرات وجلب العار على أسرته، فإن من واجبه الانتحار إعتذارا لأسرته ولمجتمعه عما ألحقه بهما من عار.

- الرسوب فى الامتحان، والخشية من خيبة الأمل التى تصاب بها الأسرة قد يدفع المراهقين بحساسيتهم المفرطة إلى الانتحار حتى يجنبوا الأسرة الصدمة النفسية، ولإحساسهم بأنهم لم يقوموا بالواجب المفروض عليهم بالنجاح والتفوق.

- من الحوادث الغريبة التى روت الصحف اليابانية وقائعها أن طفلا ضبط وهو يسرق، وسلمته الشرطة لوالده بعد التحقيق. قام الأب فى المنزل بقتل

طفله ثم انتحر، وترك خطابا يشرح فيه دوافعه، فقد قتل الطفل لأنه أخطأ فى حق المجتمع بارتكابه جريمة السرقة، وجلب أيضا على أسرته العار، ثم انتحر الأب تكفيرا عن ذنبه عندما قتل ابنه، وسدادا لحق المجتمع فى القصاص من القاتل.

ـ وعادة تزيد نسبة الانتحار فى أعقاب ظهور نتائج الامتحانات خاصة بالنسبة للمراهقين والمراهقات، ويغلب أن يكون الانتحار بعيدا عن المنزل، وغالبا ما يكون من أعلى عمارة مرتفعة. يترك المنتحرون ـ غالبا ـ خطابا يشرحون فيه دوافع الانتحار، ويقدمون الاعتذار والصفح للأسرة أو للشخص الذى أصابه ضرر. فإن لم تعثر سلطات التحقيق على خطاب من المنتحر فى محل الحادث، فإن هناك قرينة تصل إلى حد اليقين لبيان ما إذا كانت الواقعة انتحارا أم جريمة بفعل فاعل. هذه القرينة هى وضع فردتى الحذاء، ونظرا لأن الانتحار عند اليابانيين يعتبر وسيلة للتطهر، فمن القواعد الأساسية الواجب مراعاتها ضرورة خلع الحذاء ـ لأنه ملوث Polluted ـ عند الانتحار، ولذلك يعثر على الحذاء فى حوادث الانتحار وقد وضع بدقة وعناية فى مكان القفز.

الفصل الثالث

اللغة اليابانية و كتابتها:

لا تستخدم اللغة اليابانية خارج حدود اليابان، وقد عرفت اليابان كتابة اللغة عن طريق استعارة اللغة الصينية مع نطقها بالطريقة التى تناسب اليابانيين، ويرى الدارسون أن حوالى ٤٠٪ من الكلمات المستخدمة الآن فى اليابانية أصلها صينى.

وتشكل اللغة عقبة هامة لليابان بالنسبة لعلاقاتها بالدول الأخرى، لأن صعوبة اللغة اليابانية تقف حاجزا صلبا يعوق سهولة التفاهم مع الأجانب مما يجعل الترجمة بما فيها من مضار عدم الدقة وإضاعة الوقت هى الوسيلة الوحيدة للتفاهم بين أطراف المباحثات .

يتميز اليابانيون ببعض الخصائص من أظهرها بالنسبة للأجنبى عدم رغبتهم فى مواجهة الحقيقة مواجهة مباشرة، بل يستخدمون جملا وأوصافا لا تحدد رأيهم بدقة بالنسبة للمشكلة، واللغة اليابانية تحمل نفس هذه الخصائص فهى لغة غير دقيقة، وتحوى العديد من المصطلحات والأوصاف للشئ الواحد، والتى يمكن فهم كل منها وترجمتها إلى معان عديدة.

حدث بعد الاحتلال الأمريكى لليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية أن اليابانيين لم يستخدموا إطلاقا كلمة «تسليم أو استسلام»، أو كلمة «جيش الاحتلال» لا فى الوثائق الرسمية أو فى جرائدهم ومجلاتهم، واستخدم

اليابانيون جملة «انتهاء الحرب» بدلا من التسليم، وجملة «الجيش الذى عسكر فى قاعدة متقدمة» بدلا من «جيش الاحتلال»، وذلك جريا على عادتهم بعدم إعطاء الحدث إسمه الحقيقى المباشر.

اعتاد اليابانيون توجيه الدعوات لضيفهم لتناول الطعام خارج المنزل، فى المطاعم والأندية، أما إذا حدث المستحيل ودعى الضيف لمنزل اليابانى، فإن صاحب المنزل سيستقبله مرحبا وقائلا مامعناه «مرحبا بك فى بيتى الحقير»، وعندما يدعوه لدخول الغرفة التى بها الطعام سيقول له «أرجو أن تتفضل لتمنحنى شرف تناول طعامى المتواضع». إن كل شخص أو حيوان أو شئ لايذكر اسمه مجردا مهما كان وضعه الاجتماعى بل لابد من إضافة كلمة «سان» "San" بمعنى السيد. تأتى هذه الكلمة بعدَ الاسم وليس قبله فيقال مثلا «سوزوكى سان» وهو اسم رئيس وزراء سابق، أو «إيتو سان» وهو اسم سائق التاكسى، كما يقال «فوجى سان» وهو اسم أعلى جبل فى اليابان وله مكانة تقترب من القداسة، كما يقال «مدير الادارة السيد»، وتستخدم كلمة «سان» مع المذكر والمؤنث فيقال «الأم سان»، «أوشين سان»، «القطة سان» وهكذا لافرق فى إستخدام هذه الكلمة بين الانسان والحيوان والجماد، أو بين المذكر والمؤنث.

كتابة اللغة اليابانية:

بدأ أول نظام للكتابة باستخدام المقاطع الصينية، وهى رسوم معقدة، وتحتاج إلى خطوط كثيرة ترسم بالفرشاة، والمقاطع لاتمثل حروفا، بل هى ترمز شكلا إلى شئ معين حسب معناه وتسمى «كانجى Kanji».

تطورت هذه الوسيلة لتبسط، ويصبح لها أبجدية مكونة من ٤٦ مقطعا ـ وليس حرفا ـ وتتبع هذه اللغة أسلوب اختيار جزء واحد من المقطع الصينى واختزاله وتبسيطه وتجعله معبرا عن المقطع كله، وتستخدم هذه الطريقة فى كتابة الكلمات الأجنبية الأصل وتسمى «كاتاكانا ـ Katakana».

تتابعت جهود التبسيط وظهرت طريقة أخرى تختلف مقاطعها من حيث الشكل عن الـ «كاتاكانا» ولكن لها نفس طريقة النطق وسميت «هيراجانا Hir-agana» ، واعتمدت على تغيير الشكل الكلى للمقطع بكامله إلى شكل مبسط وسهل الرسم، وليس مجرد استعارة جزء واحد من المقطع، وتستخدم هذه الطريقة حاليا فى أغلب الكتابات.

تكتب اليابانية حاليا بطريقتى الأبجدية لكل من «الهيراجانا والكاتاكانا» ومعهما حوالى ألفين مقطع من الأصل الصينى.

يبدأ الطفل اليابانى فى تعلم هذه الأشكال والرسوم التى تعنى مقاطع من الكلمة منذ التحاقه بالمدرسة الابتدائية، بحيث يتقن ١٥٠٠ مقطع عند نهاية المرحلة الابتدائية، ويتزايد العدد المطلوب استيعابه مع تقدم فصول الدراسة حتى تصل إلى ٥٠٠٠ مقطع عند نهاية الدراسة الثانوية، ثم إلى ٧٠٠٠ عند نهاية الدراسة الجامعية، وهى مقاطع تبدو كلها للأجنبى غير الدارس متشابهة ومتشابكة ويستحيل عليه فك رموزها أو إجادة تقليدها، وخاصة وأنها ترسم ولاتكتب، وكل شكل يرمز إلى شئ معين، ولذلك فإن الاسم الواحد يجوز كتابته بحوالى عشر طرق (أشكال) وفقا لمعنى الاسم، حيث يشترط أن يكون للاسم الأصلى معنى كالنهر الهادئ أو الجبل المرتفع أو السهل الأخضر، ولهذا السبب يستخدم اليابانى أسلوب تقديم الكارت الذى يحمل اسمه مكتوبا باليابانية يضاف إليها الانجليزية عند تقديمه لأجنبى وذلك فى جميع أعماله ومقابلاته حتى يضمن كتابة ونطق اسمه سليما، لأنه حتى النطق الجيد الصحيح لايكفى وحده لكتابة الاسم صحيحا.

التعليـــم:

تؤكد كافة الدراسات اليابانية والأجنبية أن التعليم هو العنصر الأساسى فى كل ما حققته اليابان من تفوق. فالأمية فى اليابان تكاد تنعدم وتبلغ

نسبتها أقل من ١ ٪، وأثبتت الدراسات أن الطفل الياباني متفوق في معلوماته عن أقرانه من الأمريكيين والأوروبيين، ولعل ذلك يرجع إلى أن أيام الدراسة تزيد بمعدل يزيد عن الثلث بالنسبة للآخرين، فالياباني يذهب للمدرسة ٢٤٠ يوما في السنة مقابل ١٨٠ يوما للأمريكي.

تعتبر الأم اليابانية تعليم أولادها وحسن تحصيلهم ونتائجهم هي رسالتها الأولى في الحياة ولذلك يطلق عليها المجتمع اصطلاح «الأم المعلّمة»، وهي المسئولة عن اختيار المدرسة ومتابعة ومراقبة تحصيلهم، يضاف إلى ذلك أن التلاميذ يواجهون امتحانات صعبة للقبول في المدارس المتميزة أما امتحانات القبول في الجامعات المحترمة فهي نوع من المعاناه الصعبة التي لايجتازها إلا الأكفاء فعلا، كل ذلك تحت إشراف ومسئولية الأم، أما الأب فيشغله عمله عن متابعة أولاده في مراحلهم التعليمية.

ينقسم التعليم في اليابان إلى مراحل، ست سنوات للابتدائي، وثلاث سنوات لما قبل التعليم الثانوي العالي، ثلاث سنوات تعليم مدارس عليا، ثم أربع سنوات تعليم جامعي، وذلك بالإضافة إلى معاهد بدلا من الجامعات تتراوح الدراسة فيها بين عامين وثلاثة.

والتعليم الإجباري ينتهي مع نهاية الفصل التاسع أي تقريبا في سن الخامسة عشر. وتعتمد اليابان في نهضتها على التدريب المبني على أسس مخططة يتم في المعاهد بحيث تتوافر الأيدي العاملة المدربة، والتي تزداد كفاءتها بالتدريب عالي المستوى الذي يتم في الشركات التي يلتحق بها العاملون.

إن التعليم في اليابان سواء داخل فصول الدرس أو خارجها يهدف إلى أن يغرس في نفوس التلاميذ روح الجماعة، ويقضي على الأنانية والفردية وذلك وفقا للمثل الياباني الذي يقول «إن رأس المسمار البارز هو الذي يتلقى ضربات المطرقة».

لا يوجد فى المدارس اليابانية عمال نظافة، بل إن مسئولية نظافة الفصول والمدرسة تقع على عاتق التلاميذ يقومون بها تحت إشراف المدرسين. علق خبير أمريكى على هذه المعلومة بقوله «لعل ذلك هو السبب فى عدم وجود كلمات بذيئة مكتوبة على الحوائط والجدران». وسجلت البحوث التى أجريت أن النظام اليابانى فى التعليم يهدف إلى خلق التفوق المتوسط بالنسبة للمجموعة كلها، ولا يسعى إلى تشجيع التفوق الساحق لفرد مهما كان تميزه.

قام التليفزيون اليابانى برسالة رائعة بالنسبة للتعليم فى اليابان، فقد ظهرت به برامج تعليمية منذ عام ١٩٥٩ وذلك بهدف نشر التعليم والثقافة للجميع. تقوم القنوات الحكومية ببث الإرسال، وتعرض برامج لجميع مستويات التعليم بما فى ذلك التعليم الجامعى، وتعتبر الحكومة اليابانية هذا النشاط استثمارا ناجحا يحقق مصلحة المواطنين والوطن. وتصدر البرامج التعليمية كتبا للبرامج التى تقدمها لشرح وتقديم المادة العلمية مبسطة وواضحة، وذلك بالإضافة لرخص ثمنها، وقد لاقت هذه البرامج نجاحا كبيرا، وخاصة تلك البرامج التى انتجت وتبث خدمة لمجموعة معينة كالصم أو ذوى الذكاء المحدود الذين يحتاجون لأساليب خاصة لتصل إليهم المعلومة التى تناسبهم.

الشرطة والجريمة وقوانين المجتمع:

يعتبر اليابانيون جنسا واحدا انصهر كل أفراده فى بوتقة واحدة من التقاليد العريقة المتوارثة. إنه مجتمع السيادة فيه للجماعة ويذوب الفرد داخل المجموعة، ورغم كل هذه العناصر الإيجابية والتفوق اليابانى الحالى فى كافة الميادين، إلا أنه تتواجد فى اليابان عصابات قوية منظمة تشبه «المافيا» الإيطالية، وكذلك برزت على السطح أخيرا الجماعات ذات الفكر المتطرف سواء

اليمينية التى تدعو للعودة للقديم وتقديس الامبراطور، أو الفوضوية التى تنادى بقرب القيامة وأن الانتحار الجماعى هو الوسيلة للتطهر.

ورغم كفاءة نظام الشرطة، وتجهيز أفراده بكل مخترعات العلم الحديث، إلا أنه مازال يقف عاجزا أمام الجريمة المنظمة وعناصر التطرف، وكان آخرها وفاة وإصابة الكثيرين بسبب تسريب غاز سام بمحطات المترو فى طوكيو - إبريل ١٩٩٥ -، وثبت أن ذلك قد تم نتيجة حادث تخريبى.

ويعتمد رجال الشرطة على الوسائل العلمية الحديثة لمقاومة الجريمة، ولكنهم لايهملون الوسائل التقليدية ويعززون من ارتباطهم بالمجتمع. الطريف أن تعليمات الشرطة الدائمة تقضى بضرورة قيام أفراد «نقطة البوليس الصغيرة» الموجودة بكل قطاع من الحى بزيارة كل العائلات والمواطنين والمحلات، وإقامة علاقات ودية معهم وتلقى مقترحاتهم وحل مشاكلهم. ولكن الأطرف هو هذا المنشور الذى يوزع على رجال الشرطة لمراعاة تعليماته خلال هذه الزيارات، ورأيت أن أسجل بعض إرشاداته هنا... لعل... وعسى.

بالنسبة للبروتوكول:

البس ملابس نظيفة أنيقة - استأذن قبل دخول المنزل - لا تتلصص بالنظر من النوافذ، عندما تدعى للجلوس إجلس مع تقديم الشكر بأدب، إذا استقبلتك سيدة اترك الباب مفتوحا إلا إذا طلبت هى إغلاقه.

بالنسبة لطريقة التعامل:

بادر بالتحية وقدم نفسك مبرزا تحقيق الشخصية، وشارحا الهدف من الزيارة واطلب منهم معاونتك، اختر الكلمات المناسبة الواضحة، ويفضل استخدام اللهجة المحلية.

ولعل أهم العوامل التى تساعد على خفض نسبة الجرائم فى اليابان هو ذلك العامل النفسى الذى يسود المجتمع وهو الشعور «بالعيب» "Shame"، فالطفل يربى من صغره على ألا يلقى بورقة فى الشارع، وعلى أن يعبر الطريق من المكان المخصص لذلك، ولا يختلس قطع الحلوى من المحل لا لأن هذه الأفعال مخالفة للقانون ، بل لأن الإتيان بها «عيب»، وسيجلب له ولأسرته الخجل والعار، ولذلك فالفرد اليابانى العادى يتجنب طريق الجريمة توقيا للعار الذى سيلحق به وبأسرته وليس فقط خوفا من الجزاء.

كان مما يدهشنا فى اليابان نظافة أرصفة الشوارع من مخلفات الكلاب التى يسير بها أصحابها فى طابور صباحى كل يوم، على عكس العواصم العالمية التى تشكو مر الشكوى من هذه المخلفات وما تسببه من مناظر تصدم العين، وقد تسئ إلى المشاه. أما فى اليابان فالحل سهل للغاية، فالكلب يسير سعيدا مع صاحبته أو صاحبه الأنيق وقد حمل «المرافق» فى يده «سبتا» جميلا، وفى الوقت المناسب تخرج من هذا «السبت» كل أدوات النظافة الجميلة صغيرة الحجم، وتجمع المطلوب فى هذا «السبت» الأنيق فى هدوء ونظافة، ويبقى الرصيف نظيفا يرحب بباقى المشاه بلا مشاكل تتعلق بالنظافة، أما التخلى عن رفع مخلفات الحيوان فذلك «عيب» أمام المجتمع.

يؤكد علماء الاجتماع الأمريكيون أن الشعب اليابانى يعتنق الكثير من القواعد السلوكية مثل «قانون الجماعة غير المكتوب»، وكلها قواعد تجعل من الشعب اليابانى شعبا «مختلفا» عن الشعوب الأخرى، ويصر العلماء على أن تعبير «الشعب المختلف» هو أدق تعبير حيث لا مجال لاستخدام كلمة أفضل أو أقل حيث لا مجال للقياس، وسنقدم فيما يلى بعض النماذج التى تؤكد معنى أنه «شعب مختلف».

النموذج الأولى:

سلمت أسرة طفلها البالغ من العمر ثلاث سنوات إلى عائلة صديقة من

الجيران لرعايته تطوعا. شاء سوء الحظ أن يغرق هذا الطفل فى البحيرة. رفع والدا الطفل دعوى أمام المحكمة المختصة وحكم لهما بالتعويض، واستندت المحكمة فى حكمها إلى أنه رغم أن رعاية الطفل كانت بدون مقابل، إلا أن الأسرة الراعية كان من واجبها اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة لحماية الطفل. وهنا تظهر قوة القواعد غير المكتوبة - العرف - والتى تشكل أخلاقيات المجتمع اليابانى، حيث أنه فور صدور الحكم انهالت المكالمات التليفونية، والخطابات على والدى الطفل وكلها استنكار عنيف لقيامهم برفع الدعوى أصلا ضد جيرانهم الذين تطوعوا بنية طيبة لرعاية طفلهم.

وبدأت جمعيات الشارع ثم الحى فى التجمع فى نواديهم واتخاذ قرارات بمقاطعة الوالدين، وفعلا بدأت المضايقات المهذبة، والمقاطعة التامة وعدم التعامل معهم على كافة المستويات وفى كل شئونهم المعيشية. ولم يدع أفراد هذا المجتمع الصغير وسيلة لمضايقة الوالدين بطريقة سلبية إلا اتبعوها وخاصة القيام بمقاطعة الزوج فى عمله - مطعم عائلى صغير - وإلغاء التعاقدات معه، وأحست الأسرة أنها منبوذة ومدانة من قبل هذا المجتمع، وأنه لاوسيلة أمامهم لقبولهم مرة أخرى فى مجتمعهم إلا بالتنازل عن كافة حقوقهم بالنسبة لوفاة الابن، بل وطلب الصفح من الأسرة التى قدمت للمحاكمة.

ومن الناحية القانونية البحتة، فإن الحكم القضائى يعتبر صحيحا تماما وعادلا، أما بالنسبة للمجتمع اليابانى فإنه يرى أنه فى هذه الحالة لايجوز أن تسود النصوص القانونية الجامدة فقط، بل يجب أن تسود العلاقات الإنسانية الطيبة المليئة بالخير والسلام والمحبة.

النموذج الثانى:

تعلمنا أن العقد القانونى يترتب عليه إنشاء مجموعة من الحقوق

والالتزامات على كل من طرفى العقد، وأن هذه الحقوق والواجبات هى التى تحكم طريقة تنفيذ العقد وحل المشكلات التى تترتب عليه. أما فى اليابان فإن المفهوم الاجتماعى للعقد هو أنه يهدف أولا إلى إنشاء علاقة إنسانية "Human Relationship" بين أطراف العقد، هذه العلاقة الإنسانية هى التى تحكم طريقة تنفيذ العقد والآثار المترتبة عليه.

وهناك فقرة فى أغلب العقود تثير دهشة غير اليابانيين وهى تنص على «أنه فى حالة وجود خلاف بين المتعاقدين فإن الأطراف ستعيد مناقشة موضوع الخلاف بكل إخلاص»، وهذا الشرط يسمى «شرط الإخلاص» "Sincerity Clause"، وغالبا ما يتساءل غير اليابانى عن جدوى هذا النص الذى لا تظهر حكمته. أما اليابانيون فهم مقتنعون أنه إذا توافرت العلاقات الإنسانية الطيبة بين الأطراف فلن يخفقوا أبدا فى التوصل إلى الاتفاق. كذلك يؤمن اليابانيون بأنه لايجوز أن يكون حل المشكلة على حساب العلاقات الانسانية، ولذلك فإنه من الضرورى مراعاة مبدأ «حفظ ماء الوجه» "Keep face" بالنسبة لكل الأطراف، والإبقاء على كل علاقات المودة والاحترام بحيث يكون لها الأولوية على باقى العناصر الجامدة مثل الاحصائيات والوثائق والحجج القانونية.

النموذج الثالث:

تعتبر نسبة المحامين إلى مجموع الشعب اليابانى هى أقل نسبة فى العالم، وتتسم نظرة اليابانيين إلى القانون بروح التقاليد اليابانية العريقة حيث يعتبرون القواعد القانونية مجرد وسيلة سلمية للتوفيق بين المصالح المتعارضة، وللتقريب بينها وصولا إلى حل وسط يرضى به جميع الأطراف. وهم يؤكدون فلسفتهم العميقة بأن الهدف الأسمى هو الوصول إلى توافق وتناغم المجتمع ككل. ولذلك فإن كل خلاف داخل هذا المجتمع يحل بالمناقشة والإقناع وتقديم التنازلات، وليس بالتصادم أو التخريب والعناد، أو رفع القضايا للمحاكم.

وهكذا تحولت القواعد القانونية من أحكام تحمل الإدانة والتجريم، وتقسم الحلول إلى صواب وخطأ، لتصبح هذه القواعد علامات ثابتة مضيئة لتشجيع الأطراف المتنازعة للاقتراب من مفهومها بتقديم التنازلات والبحث عن نقط الالتقاء والاتفاق.

وهكذا يصدق قول علماء الاجتماع اليابانيين بأن «الترافع فى المحاكم ليس لعبة شطرنج ينجح فيها من يجيد اللعب بأسانيده القانونية، كذلك فإنه ليس من المطلوب أن نزرع فى النفوس مبدأ احترام القانون فقط، ولكن الأهم أن نزرع مبدأ احترام الحق».

الكوارث والزلازل:

علمت الزلازل المتكررة الشعب اليابانى - منذ القدم - ألا يقاوم الطبيعة، وأن يتعايش معها ويتقبل فى هدوء جموحها، ويقرر علماء الاجتماع أن هذه الصفة لا تعتبر روحا انهزامية، ولكنها وسيلة للبقاء "Survival" ويشبهون ذلك بأعواد «البامبو» التى تنحنى للعاصفة وبذلك تتفادى الكسر والاقتلاع.

ونظرا لطبيعة الجزر اليابانية فإن الزلازل تتكرر باستمرار، وتسجل معدلات مرتفعة بالنسبة لمقياس «ريختر». مر باليابان أسوأ زلزال عام ١٩٢٣ وكانت درجته ٧,٩، وأصاب منطقة طوكيو ويوكوهاما، واستمرت النيران ثلاثة أيام ومات مائة ألف مواطن، وتحولت طوكيو إلى أنقاض محترقة، وحدث أخر زلزال فى شهر إبريل ١٩٩٥ وأصاب المنطقة الشمالية من اليابان «كوبى»، وكان بدرجة ٦,٥ وأحدث الكثير من الخسائر فى الأرواح والمبانى.

تساءل اليابانيون بعد الزلزال الأخير عن جدية السلطات المسئولة فى تنفيذ ومراقبة الترتيبات التى سبق الاتفاق عليها وتقنينها لتلافى الآثار المدمرة للزلازل. وتعتبر اليابان من أكثر الدول تقدما فى إعداد الترتيبات للحد

من آثار الزلازل، فقوانين المبانى تنص على مواصفات هندسية معينة بالنسبة للأساسات وبالنسبة للحوائط الحاملة وذلك لمواجهة الزلازل ذات الأثر العمودى أو ذات الأثر الأفقى، ولا تمنح رخص المبانى إلا بعد تنفيذ كل الاشتراطات الواردة فى «كود» أو دستور المبانى الخاصة بالحرائق، ومقاومة الزلازل.

أذكر أنه أثناء وجودى فى طوكيو أن بدأت وزارة الخارجية المصرية فى التفكير لإقامة مبنى جديد للسفارة بدلا من المبنى الموجود الذى أصابه القدم. كلفت الوزارة أحد كبار المكاتب الهندسية المصرية لدراسة المشروع وتقديم المقترحات، ولأسباب لاتعلمها السفارة تعجل المكتب وعمل بصفته ـ الاستشارى ـ كراسة للمناقصة الخاصة بالمبنى ومرفق بها العديد من الرسوم الهندسية للمبنى المراد إنشائه وكل ذلك دون استشارة السفارة.

رفضت كافة الشركات اليابانية التى عرض عليها المشروع الاشتراك فى المناقصة، لأن المشروع لم يقم بمراعاة ماورد فى الدستور اليابانى للمبانى خاصا بقواعد مراعاة الحرائق والزلازل، ولكنه نقل نقلا مباشرا من «دستور المبانى الأوربى» الخالى من هذه الاشتراطات، مما يجعل الحصول على الموافقات للتنفيذ مستحيلا.

استغرق الأمر مشاورات عديدة والمكتب المصرى يتعجل التنفيذ لأسباب تخصه، وأخيرا أمكن إعادة الأمور إلى نصابها وتسليم المشروع الذى أعده المكتب المصرى إلى مكتب هندسى يابانى ليصوغه مرة أخرى فى حدود دستور مبانيهم، وبذلك تحقق هدف بناء سفارة مصر فى طوكيو وفقا للمواصفات اليابانية.

تقام فى اليابان حاليا العديد من ناطحات السحاب، ولكنها تبنى على أساس نظرية هندسية تعمل على الوصول إلى عمق كبير فى الأرض يتناسب مع ارتفاع العمارة، ثم يتكون من الأساسات والأعمدة والأسقف الحاملة مايشبه

«قفص» واحد متماسك بحيث إذا حدث الزلزال فإن كل المبنى «يتمايل» يمينا ويسارا بزاوية مدروسة، ويحكى كل من شاهد هذه العمارات الشاهقة وقد أصابها الزلزال وهى تتمايل بكل هذا الارتفاع كبندول الساعة، والقلوب واجفة خشية أن تميل ميلا كاملا وتسقط أرضا. حكوا عن لحظات الرعب التى عاشوها، والثوانى التى استطالت حتى خالوها لن تنتهى إلا بسقوط العمارة.

وتحاول اليابان الحد من مخاطر الزلزال بتدريب الأهالى والشرطة ورجال الإطفاء والإسعاف والمدارس والمصالح والمؤسسات بصفة دورية، فى الشوارع والمحلات والمكاتب الحكومية والمبانى على أسلوب التصرف فى مواجهة الزلازل، وكيف يمكن الإقلال من آثارها المدمرة، وتتعلم كل أسرة كيف تحتفظ «بحقيبة الطوارئ» التى تحوى بعض الأطعمة والماء والأدوية والبطاريات والراديو لسماع التعليمات، وكيف أنه على كل أسرة أن تتفق على مكان للتجمع عند حدوث الكارثة - عادة ماتكون حديقة قريبة للمنزل - كما يتعلم المواطنون تجنب المحظورات أثناء الزلازل أو بعده.

وقد نشرت جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤/٤/١٩٩٥ أن السلطات اليابانية المختصة قد انتهت من إعداد خطة طوارئ تهدف إلى توفير حماية خاصة لأعضاء البرلمان اليابانى فى حالة حدوث زلزال شديد، وذكرت وكالات الأنباء اليابانية أن خطة الطوارئ تقضى بإعداد نحو ٤٥ ألف وجبة غذائية يتم إعدادها على نفس طريقة الوجبات التى تعدها وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» لرجال الفضاء، وتخزينها فى مقر البرلمان لإطعام الأعضاء والعاملين لمدة ثلاثة أيام فى حالة حدوث زلزال. وأعيد العمل باثنين من آبار المياه فى حديقة البرلمان كان قد توقف استخدامها منذ سنوات طويلة.

يدهش الأجنبى عندما يلاحظ فى المنزل أو الفندق أن كل الأشياء القابلة للتحرك - دولاب، سرير، ثلاجة، غسالة... - كل هذه الأشياء الموجودة سواء فى المكاتب أو المنازل وقد شدت بمخطاف إلى الحوائط والأسقف وذلك منعا

من تحركها أو سقوطها عند حدوث الزلزال مما قد يترتب عليها إحداث أضرار بالأفراد أو المنشآت.

يعزو بعض علماء النفس الروح العدوانية الشديدة التى ظهرت فى الحرب العالمية الثانية من اليابانيين، والتى تظهر حاليا كل حين من تحت ما يتخيله الجميع سطحا هادئا من السلام النفسى يحكم التصرف اليابانى، إلى إحساس اليابانى المتزايد بوجود الخطر الداهم قريبا منه، وأن احتمال حدوث كارثة قائم كل لحظة، وخاصة أن من الأمور المعتادة فى اليابان حدوث أكثر من خمس هزات أرضية يوميا ولكن لا تصل درجتها إلى معدل الخطورة.

الفصل الرابع

المجتمع اليابانى الغريب:

أجمع دارسو الحضارة اليابانية على أن أدق وصف للمجتمع اليابانى هو أنه «مجتمع غريب»، فلا يصلح معه الوصف بأنه متفوق أو متخلف أو مشابه لمجتمع أخر. ينفرد المجتمع اليابانى بخصائص مميزة تجعله يختلف بالكامل عن الغرب، وعن المجتمعات الآسيوية المجاورة فى الصين وكوريا، أو روسيا وجمهورياتها فى الشمال. يرجع هذا التفرد إلى أن اليابان قد انعزلت بالكامل فى جزيرتها عن العالم الخارجى لمدة تزيد عن المائتى عام، منع خلالها اليابانى من مغادرة الجزر، والأجنبى من دخولها. حدث خلال هذه الفترة من العزلة إنصهار تام للمواطنين فى بوتقة العادات التقليدية بعيدا عن أى تأثيرات أجنبية.

نتج عن هذه العزلة الطويلة أن جمعهم كلهم «الوحدة العرقية أو وحدة الجنس» "Homogenity" وذلك فى إطار من التقاليد العريقة الملزمة التى يقدسها اليابانى ويعيشون وفقا لقواعدها، ولذلك لوحظ حتى الآن أن اليابانى لايشعر بالارتياح إلا وهو بين أقرانه تحكمهم جميعا قواعد وسلوكيات يعرفونها.

لايميل اليابانى بطبعه إلى الاستعراض والزهو، بل على العكس فإن تقاليده تدعوه إلى إخفاء مشاعره إلى حد الانطواء على النفس، ولذلك نجد الرجل الغربى وقد جلس على الكرسى، ومد قدمه للأمام وقد يضعها ببساطة

فوق المائدة، أما اليابانى فإنه يثنى رجله تحته، ويجلس على ركبتيه فى هدوء وتواضع.

يصعب على الأجنبى أن يتعايش بسهولة مع المجتمع اليابانى، ويشعر دائما أنه غريب فى هذا المجتمع، فإذا نسى ذلك فسرعان ما يتذكر عندما تصطدم رأسه بمداخل الأبواب التى بنيت وفقا للمقاييس اليابانية الصغيرة، أو عندما ينام فى مكان يابانى فى السرير ويجد أن قدميه معلقتان فى الهواء، ولعل مشكلة السرير كانت من أكبر المشاكل التى واجهت المسئول عن المراسم فى الخارجية اليابانية الذى حكى لى مشكلتهم وهم يستقبلون رؤساء أمريكا تباعا - وهم يتميزون بطول الأجسام - وكذلك عند زيارة الرئيس السنغالى عبده ضيوف.

ويعتبر المجتمع اليابانى غريبا حتى بالنسبة لليابانى الذى ولد لأبوين مختلطين، وتلقى دراسته فى الخارج، فإنه سيجد من الصعب عليه فهم الكثير من التصرفات حوله، ولن يكون من السهل قبوله للعمل فى الشركات الكبيرة - رغم مؤهلاته المتميزة - وستكون الفرصة المتاحة له غالبا هى الحصول على وظيفة مترجم فقط.

المسكن اليابانى "Rabbit hutch":

تتكون اليابان من مجموعة من الجزر الصخرية، والأرض القابلة للزراعة نسبتها محدودة، أما الأراضى المعدة للإسكان فمساحتها قليلة للغاية ومرتفعة الثمن وخاصة فى المدن الهامة. ترتب على ذلك أن المساكن اليابانية بنيت على مساحة صغيرة من الأرض، وبالتالى فهى مساكن صغيرة وضيقة ولكن العقلية اليابانية العملية حولت هذه المساحة الصغيرة لتحوى كل الحاجات الضرورية للأسرة.

تعد الغرفة الواحدة المفروشة بحصير «التاتامى» لخدمة عدة أغراض، فهى

غرفة المعيشة عند وضع الشلت الصغيرة أرضا على التاتامى، وهى غرفة المائدة عندما تسحب المائدة الصغيرة المسنودة على الحائط وقد طويت أرجلها، وهى غرفة النوم فى نفس الوقت عندما توضع هذه المهمات البسيطة فى أحد الأركان، وتسحب الأغطية الخفيفة من الدواليب التى توجد داخل الحائط، وتفرش متجاورة بديلا عن «السرير والمراتب والألحفة».

تحاول الشركات والمؤسسات القوية مساعدة أفرادها ببناء مساكن مجمعة بالقرب من مصانعها أو مقارها، لتوفر على أفرادها سداد قيمة الإيجار المرتفع، أما من لايتوفر له هذه الميزة وخاصة من العاملين فى المدن الكبرى فإنه يجد الحل فى الحصول على مسكن بعيد عن المدينة بأجر معقول، ولو أن ذلك سيضطره إلى ركوب «المترو».

يعتبر اليابانيون أن ركوب المترو لمدة ساعتين يوميا فى كل من الذهاب والعودة بين مقر العمل والمنزل أمرا عاديا لابد من تحمله، وعادة ما نجد ركاب «المترو» وهم يتغلبون على الملل بقراءة بعض الروايات والقصص المسلية، وقد تخصصت بعض دور النشر فى نشر هذه النوعيات وهى من أنجح المبيعات التى تصل إلى المليون نسخة، وتنتشر هذه الكتب فى أكشاك البيع بمحطات السكك الحديدية والمترو، وتلاقى إقبالا كبيرا.

يدعو اليابانى ضيفه إلى أحد المطاعم، وذلك نظرا لصغر حجم المسكن وعدم استعداده لاستقبال الضيف ولأن اليابانى يعتبر أنه إقلال من شأن الضيف أن يدعوه لمنزله فى الوقت الذى تتوافر فيه فى الأماكن الخارجية - مطاعم، بار ، ملهى - كل امكانيات المتعة مع إجادة تقديم الأطباق اليابانية التى تتكون عادة من أعداد كثيرة مختلفة يصعب إعدادها بالمنزل، وقد يكون هناك سبب جوهرى آخر لايفصح عنه المضيف، وهو أن فاتورة الحساب غالبا - بل من المؤكد - أن مؤسسة العمل هى التى ستتحملها.

فنادق «الكابسولة» "Capsule Hotels":

يتوافر فى اليابان العديد من الفنادق ذات الخمس نجوم وكثير منها يشغل بالكامل ناطحات للسحاب، ويعتبر مستوى الخدمة والنظافة فيها نموذجا تسعى إليه أرقى الفنادق فى العالم. نظرا لأن الحاجة أم الاختراع كما تعلمنا، فإن اليابانى الذى يسكن بعيدا عن عمله، ويحتاج للسفر يوميا لمسافات طويلة، فإنه قد يفضل البقاء طوال الأسبوع فى المدينة التى بها مقر العمل، ويعود لمنزله فقط فى عطلة نهاية الأسبوع، واليابانى الذى تأخر فى إنجاز عمله فى المدينة الكبيرة، وأراد المبيت ولا تسعفه ظروفه الاقتصادية للمبيت فى أحد الفنادق، لهؤلاء وغيرهم ظهر الحل السحرى الذى لايمكن وجوده وانتشاره إلا فى اليابان.

يتوجه صاحبنا إلى فندق عادة ما يكون موقعه قريبا من محطات المترو أو القطارات، وهو نوع من الفنادق يطلق عليه «فندق الكبسولة»، ويخصص هذا الفندق للنوم فقط، أما الأكل أو الترفيه ففى المحلات المجاورة متسع للجميع.

يدخل صاحبنا ساعة النوم - فقط - ويسدد الإيجار الزهيد مقدما، ويدخل المكان الذى سينام فيه، وهو نموذج متكرر فى صفوف منتظمة، وتتكون من أدوار متعددة يصعد إليها بسلالم صغيرة، ويجد أن غرفته عبارة عن حيز محدود مغلق بتسع له بالكاد وفقا للمقاييس اليابانية، وهو يشبه وحدة واحدة مما يبنيه النحل، وقطعا فإن الحيز المتاح إذا دخله شخص غير يابانى - هذا نادر - فإن أرجله ستظل معلقة خارج الغرفة - فى الممر .

المدهش أن صاحبنا سيجد فى هذا الحيز الصغير جهازا للتليفزيون معلق أمامه، وإضاءة للقراءة إذا شاء، وعليه أن يراعى عدم تحريك أعضائه بعنف لأن يده يمكن أن تصل للسقف بسهولة، وما عليه إلا أن يخلع ملابسه الخارجية، وينام فى هدوء تحت الغطاء حتى الصباح. وسيشعر أنه قد نام فى مكان آمن

هو أشبه بخلية النحل من حيث صغر الحجم وحسن التنظيم، وإشباع كافة حاجات الإنسان الضرورية.

الطعام الياباني:

الأرز هو الغذاء الرئيسي للأسرة اليابانية، ويتناوله اليابانيون في الوجبات الثلاث، وكلمة "Gohan" معناها الأرز المطهو، وهي الكلمة التي أصبحت تستخدم الآن لتدل على «وجبة الطعام» كلها. والأرز في اليابان يطبخ بسلقه في الماء دون إضافة أي ملح أو سمن أو «بوهرات»، وقد يكتفي بقليل من الخل، ويعتبر مسلوقا ويؤكل مع بعض قطع من السمك الغير مطهو «ني»، والقليل من الخضر «المخللة» وتعتبر هذه المكونات وجبة كاملة.

يقول اليابانيون أن الطعام الياباني يتذوقه الإنسان بعينيه قبل أن يضعه في فمه، وقد دأبت المطاعم على تقديم طعامها بأسلوب يتميز بجمال العرض، فكل طبق يقدم يكون عبارة عن قطعة فنية صغيرة في تناغم الألوان المشكلة من محتويات الطبق. نجد طبقا جميلا وقد وضع فيه «قرن» بامية أخضر اللون، وقد رقد باعتزاز على ورقة شجر صغيرة بلونها الأحمر، وبجاوره أربع حبات مسلوقة من الفاصوليا البيضاء، وفي ركن «الصورة» «بقعة» لونية صفراء هي مفروم الثوم، وهكذا تكتمل اللوحة التي يجد الآكل صعوبة في هدم هذا التكوين الجمالي ليشبع نداء بطنه.

فإذا انتقلنا إلى منتجات البحر، فسنجد طبقا جميلا يعطي خلفية للوحة «الغذائية» التي سيحتويها، وقد وضع في منتصف الطبق تمثال جميل من الثلج المجمد صنع على شكل عروسة البحر، وفي أحضانها ترقد قطع من السمك «السوشي أو الساشيمي» وهو سمك لم تلمسه النيران، ولم يفسده أي نوع من الملح أو التوابل تجمع بين اللونين الأحمر والأبيض، وفي لمسة فنية جميلة تضاف قطعة من «الجمبري» مع ورقة خضراء تحفظ توازن الألوان.

لا أنسى الحيرة التى كانت ترتسم على وجوه كبار المسئولين المصريين عندما تقدم لهم هذه الأطباق الجميلة، وكان من الصعب مهاجمة كل هذا الجمال وافتراسه، ولذلك كان الكثير من الضيوف يعانون من مشكلة الجوع بعد مثل هذه الدعوات، ويسارعون عند عودتهم لمقار إقامتهم إلى البحث عن شئ يشبع المعدة بعيدا عن النظريات الجمالية فى الفن.

ويسعد الضيف المصرى عندما يجد طبقا يقدم له وقد توسطته قطعة من اللحم، وتزداد متعته وهو يتذوق طعمها اللذيذ وهو متأكد كما سمع من مضيفه أنه من لحم البقر أى «حلال» وإذا استطال الشرح فسيعرف أنه نوع مخصوص من اللحم غالى الثمن جدا، لأنه يؤخذ من نوع معين من الأبقار «المحظوظة» التى تعيش طوال اليوم مع الألحان الموسيقية العذبة لتهدأ أعصابها، وتأكل أنواعا خاصة من «العلف»، والأهم من ذلك أنها تشرب كميات كبيرة من «البيرة»، ويجرى لها عمليات «مساج» ثلاث مرات يوميا ليضمن مربوها أن يكون لحمها خاليا من الدهون، أو العضلات الجافة، مع رقة فى الأنسجة تجعلها مستحبة المذاق.

تحافظ الأسرة اليابانية العادية فى بيتها على الطعام التقليدى اليابانى الذى يعتمد على الأرز والشوربة، ولكن نظرا لما تستدعيه الحياة العملية ومتطلباتها اليوم من سرعة، فقد ظهرت إلى الوجود «حلة الأرز الكهربائية» التى تطهو الأرز فى دقائق وتبقيه ساخنا لساعات، وبذلك أعفيت الأم أو الزوجة من مهمة ثقيلة كانت تقوم بأدائها بيديها وتحت إشرافها المباشر. ظهر فى الأسواق أيضا مسحوق الشوربة سابق الإعداد وقد وضع فى أغلفة ورقية جميلة، ويكفى وضع محتويات الكيس فى طبق به ماء ساخن حتى تتصاعد رائحة وأبخرة الشوربة اللذيذة.

انتهى عصر الانغلاق، وانتشرت فى الشوارع النماذج الأمريكية من مطاعم «البيتزا والهمبورجر والاسباكتى» وأقبل عليها الشباب وهم يؤمنون فى داخلهم أنها نموذج للحضارة الأمريكية التى يعجبون بما تقدمه فى السينما

والتليفزيون، ويقول خبراء التربية أن الجيل الياباني الذى عرف حديثا المنتجات الحيوانية فى طعامه، قد تغير تكوينه الجثمانى فأصبح أكثر طولا، وزادت نسبة الدهون فى جسمه مقارنا بالجيل الذى كان طعامه قاصرا على الأرز والسمك.

تحدثنا عن الطعام اليابانى، وتفتحت الشهية لمعرفة مزيد من التفصيلات عن الأطباق اليابانية التى يستسيغها الأجنبى فى اليابان، وسأعرض البعض منها فى إيجاز ولعل هذا العرض يسهم مستقبلا فى إنقاذ سائح مصرى لليابان من مواجهة أطباق يابانية تقليدية من الخير له ألا يقربها أو يتذوقها وإلا فستثور عليه معدته ثورة لاقبل له بمقاومتها.

* «السوشى والساشيمى» "Zushi & Sashimi"

هى شرائح من سمك التونة أو الماكريل أو أنواع أخرى ممتازة. تختار السمكة الطازجة بعناية فائقة، وينزع الجلد، ويختار الطباخ أجزاء معينة من السمكة يقطعها بسكين رفيع حاد إلى شرائح بسمك ١/٢ بوصة، ويراعى أن القطع يكون فى اتجاه تكوين النسيج اللحمى، وتقدم قطع السمك محاطة بقطع من الخيار والفجل لها أشكال هندسية جميلة، ويؤكل السمك «النى» بغمسه فى صلصة «الصويا». يتعجب الأجانب لأن اليابانيين يأكلون هذا النوع من قطع السمك دون أن يقترب من النار، أو الماء المغلى أو حتى تخليله بالملح، ويعتبرونه نوعا من افتراس لحم السمك «النى»، ولكن الحقيقة أنه بالتجربة وجد أن له مذاقا لذيذا فعلا، وخاصة والأكل لا يشعر مطلقا لا بطعم السمك ولا رائحته.

* «التمبورا» "Tempura"

طبق يحبه المصريون، ويتكون من جمبرى - عدد ثلاثة على الأكثر - تم

تقشيره مع الاحتفاظ بالذيل، ويغمس فى خليط من البيض والدقيق ويقلى فى الزبد، ويقدم مع شرائح من الفلفل الأخضر، والجزر الأحمر والباذنجان المقلى فى الزبد، وفى ركن من الطبق توجد قطعة من خليط أخضر ننصح بتذوق جزء صغير للغاية منها مع الجمبرى لأنها خلاصة نوع من الفجل والثوم حريف الطعم للغاية، لو زادت القطعة المستخدمة قليلا، فالنتيجة الحتمية هى انسكاب كمية لابأس بها من دموع العين قهرا.

* «السوكياكى» "Sukiyaki"

طبق آمن لاخطورة منه، ويتكون من شرائح من اللحم البقرى يقلى فى الزبد مع بعض من نبات عش الغراب، وأعواد البوص الخضراء. والمشكلة الوحيدة التى تواجه المصريين أن هذا الطبق يقدم معه طبق آخر صغير به بيضة طازجة مضروبة، وعلى الآكل أن يغمس العصايتين أو الشوكة التى يأكل بها بما تحمله من لحم وخضر فى البيضة «النية»، ثم يلتهم الجميع بالهناء والشفاء، ولكن من الممكن المغالطة وحذف الخطوة الأخيرة من خطوات الأكل لتمر الوليمة بسلام.

قد طورت المطاعم الحديثة أسلوب تقديم هذا الطبق، فأجلست الضيف أمام مائدة يقوم عليها طباخ، وقد وضع أمام الضيف مسطح صلب يسخن بالكهرباء ويقوم الطباخ بعملية تقطيع اللحوم والخضر وطهيها أمام «الزبون»، ويستخدم خلال ذلك أدواته من سكينة وشوكة بأسلوب استعراضى «بهلوانى»، ولكنه يشكل عرضا ممتعا للرشاقة وخفة اليد، وينتهى بتقديم طبق ساخن لذيذ «للزبون».

* اللحم المسلوق «شابو شابو» "Shabo - Shabo"

كلنا يعرف اللحم المسلوق ويحبه خصوصا إذا كان مع طبق من «الفتة». أما

فى اليابان فيقام للحم المسلوق احتفال يليق به. يجلس الضيوف حول المائدة وقد توسطها موقد جميل يعمل بالغاز، وتضع فتاة المطعم - الجميلة - وهى ترتدى الكيمونو، وعاءا نحاسيا مليئا بالماء يتبع ذلك طبق به شرائح رقيقة للغاية من لحم البقر يتميز بسرعة نضجه فى الماء، وأطباق أخرى بها مجموعة صغيرة من الخضروات والشعرية اليابانية الرفيعة.

يقدم لكل ضيف طبقه، وعصاتان لاستخدامهما فى الطبخ والأكل، وعندما يبدأ الماء فى الغليان ينفذ الجميع تعليمات الفتاة.

يمسك كل واحد بعصاتيه جيدا، ويحاول اصطياد شريحة من اللحم بينهما والعمل على عدم سقوطها، ويدليها فى وعاء الماء المغلى محركا إياها مرات يمينا ويسارا، وفى لحظات يرى أنها قد نضجت فيأكلها بعد أن تهدأ حرارتها، ويكرر العملية مرات. ويتبع نفس الأسلوب مع الخضر وسرعان ما يسمع الجميع الضحكات وهى تتبعث من أرجاء المطعم، ففى الغالب لن يتمكن الجميع من إجادة عملية الإمساك باللحم بهذه العصى اليابانية، فسرعان ما يسقط اللحم فى الماء، ويتكرر سقوطه من زملاء آخرين وتثور المشاكل عن حق الملكية، وحق الأولوية فى اصطياد ما سقط فى الإناء. وينهى الضيوف طعامهم بشرب أطباق من الشوربة - التى صنعوها من اللحم الذى استخدموه - مع قليل من الشعرية اليابانية التى تم نضجها فى نفس الإناء. تشرح سيدة مصرية سبب التسمية «شابو شابو» بأنه يعنى ضرورة إمرار اللحم يمينا ويسارا مرات فى الماء المغلى لينضج، وأنه غير مسموح بإسقاط اللحم مباشرة ثم إعادة اصطياده، وغالبا ما تعقب باقى السيدات بنفس الملاحظات التى تتكرر دائما فى كل دعوة أكلن فيها «الشابو شابو»، أنها نوع ممتاز من اللحم، ولكن ياحبذا لو كان قد أضيف للماء المغلى قليلا من الملح والفلفل والبوهرات والحبهان والمستكة ومجموعة من البصل الصغير و......، وبهذا كان من المؤكد أن مذاقه سيكون أفضل وألذ.

المشروب الوطنى اليابانى «الساكيه»:

المشروب الوطنى اليابانى هو «الساكيه»، ويعمل من الأرز بعد أن يختمر، وتبلغ نسبة الكحول فيه ١٢,٥٪، ويشربه محبوه وهو دافئ، ويوضع فى كاسات صغيرة يتفنن فيها الصناع، وتأخذ أشكالا جميلة وألونا خلابة.

يخضع شرب «الساكيه» لبعض القواعد اليابانية التى يستحب مراعاتها، فعند تقديم «الساكيه» سواء بمعرفة المضيف أو الصديق للضيف، فعلى الأخير أن يمسك بكأسه ويرفعه عن المائدة ليضع له الآخر المشروب، ومن الذوق أن يتذوق صاحب الكأس بعضا من «الساكيه» قبل إعادة الكأس للمائدة.

والقاعدة الثانية أنه لا يجوز للشخص أن يضع «ساكيه» فى كأسه قبل أن يرفع القنينة ويملأ منها كئوس الآخرين قبل أن يصل إلى كأسه. والقاعدة الثالثة أنه عند عدم الرغبة فى تناول المزيد من المشروب، فيكفى أن يقلب الشخص كأسه بحيث يلامس أعلاه المائدة وسيفهم الجميع أنه قد اكتفى.

والملاحظ أن اليابانيين تظهر عليهم تأثيرات الخمر بسرعة تزيد عن الأجناس الأخرى، وقد قدر بعض الخبراء أن السبب فى ذلك يرجع إلى نقص أنزيمات معينة فى الجسم، بالإضافة إلى انخفاض نسبة الدهون فى الجسم. يتعامل المجتمع اليابانى مع «السكران» برفق ومودة، ولا يجرمه المجتمع طالما لم يتطاول أو يسئ إلى أحد، وعدا حالة قيادة السيارات والسائق مخمور، فهنا يصبح تعامل الشرطة متسما بالحزم والحسم.

من المشاهد المألوفة ليلا فى شوارع الملاهى بطوكيو أن يسير بعض الأشخاص وهم يتطوحون، وقد يسندهم بعض الأصدقاء، والجميع لايحاولون التحرش بالمارة أو استعراض خفة الدم، والمشاة يتعاملون مع هذه الظاهرة بتجاهل تام دون أى احتقار أو استنكار أو تجمع لالزوم له حول «السكران».

وقد ظهرت فى طوكيو خدمة «جليلة» يقدمها بعض سائقى التاكسى الذين ينتظرون بجوار محال اللهو والشرب، وعندما يريد أحد السكارى الوصول إلى المنزل، وهو لا يستطيع قيادة سيارته خوفا من الحوادث ومن الشرطة، فإن السكير أو صديق له يذكر لسائق التاكسى عنوان المسكن واسم الشخص، وسيصل هذا السكير إلى منزله سالما، ومحفظته لم تمس، وفى نهاية الرحلة يدفع الراكب أو زوجته الأجرة المعتادة مضافا إليها نسبة معينة مقابل هذه الخدمة الخاصة الآمنة وغير المستغلة.

الفصل الخامس

الكمبيوتر والروبوت:

تمكنت التقنية الفنية اليابانية من تصنيع وتشغيل أسرع قطار فى العالم "Bullet train"، والسيطرة على إدارته وخطوط سيره بواسطة الكمبيوتر بحيث أصبح وجود السائق الفنى نوعا من الأمان فقط وليس نوعا من الضرورة.

قامت المصانع كذلك باستخدام «الأوتوميشن»، «والروبوت» فى أغلب العمليات، وخاصة مايتعلق بعمليات الدهان، واللحام، ونقل الأجزاء المكونة للمنتج بحيث حل الروبوت تماما محل الإنسان فى أغلب العمليات، بل وأصبحت عمليات التفتيش والقياس والتأكد من جودة المنتج تتم أوتوماتيكيا بعيدا عن يد البشر.

تصنع اليابان وتستخدم حوالى ٧٠٪ من جميع أجهزة الروبوت الموجودة فى العالم، وتقدمت اليابان فى التكنولوجيا التى تنتج الآلة المزودة بالكمبيوتر صغير الحجم، وأطلق على ذلك الفرع من الانتاج اسم "Mechatronics"، ويجمع الاسم بين مصطلحين إنجليزيين هما:

* "Mechanism & Electronics"، وبهذا زادت كفاءة الروبوت وتعددت الأعمال التى يقوم بها بدقة تفوق دقة البشر.

يقودنا هذا التقدم إلى التساؤل عما سببه الروبوت للعمال نتيجة قيامه

بعملهم وتعرضهم للبطالة، ولكن العقلية اليابانية قد وجدت الحل بأن تنظم مسبقا - قبل حلول الآلة محل العامل - تدريبا للعامل بحيث ينتقل إلى عمل آخر لا ينافسه فيه الروبوت، وقد شرح رئيس لمصنع صلب عدم وجود تعارض بين الروبوت والعامل بقوله «إن الروبوت يمكن الإنسان من أن يقوم بأعمال يرى فيها تحقيقاً لذاته، وتعفيه من الأعمال التى يكون من آثارها الكثير من القذارة ومعايشة الخطر - «الدهان واللحام». يتميز الروبوت بالدقة الفائقة فى أدائه بالإضافة لقدرته التى لانهاية لها على القيام بالأعمال البسيطة وذات الرتابة مثل تركيب المسامير والصواميل وذلك دون ملل، هذه الأعمال عادة ما تصيب العامل الذى يقوم بها بالإحباط والمهانة والإجهاد، أما الروبوت فلا يشكو ولا يحتاج لأجازة ولا تحدث له إصابة عمل.

مراقبة جودة المنتج

هل يكفى استخدام الكمبيوتر والروبوت لإنتاج سلع تغزو أسواق العالم، وتجعل اليابانى يحقق بالوسائل الاقتصادية والصناعية النصر الذى لم يستطع تحقيقه بالسلاح فى الحرب العالمية الثانية؟

ثبت أنه ليس المهم هو إنتاج السلعة، بل لابد أن تتفوق هذه السلعة على السلع المنافسة من حيث الجودة والسعر. نجحت اليابان فى تحقيق هذا الهدف باعتناق نظرية «الانتاج بهدف التصدير». ونظرا لأن الكثير من المنتجات المطلوبة حاليا فى السوق العالمية يتطلب قانون المنافسة أن تكون على درجة عالية من الدقة والتعقيد والتنوع لتستجيب لاحتياجات السوق المتطورة، فإن جزءا كبيرا من القيمة المضافة لسعر السلعة هو ناتج التطوير الناجح لآلة الإنتاج ولكفاءة نظام مراقبة الإنتاج"Quality Control System" على البضاعة المنتجة ضمانا لارتفاع كفاءتها وخلوها من عيوب الصناعة.

بدأت فكرة مراقبة الإنتاج كنظرية أمريكية سميت «مراقبة الجودة»،

وتميزت الفكرة بالبساطة، وكانت تعنى «تكامل الملامح والخصائص لمنتج أو خدمة ما بصورة تمكنه من تلبية احتياجات ومتطلبات محددة أو معروفة ضمنا ـ أو هى القدرة على الوفاء بمطالب المستهلك بما يحقق رضاه». عقب الاحتلال الأمريكى لليابان بعد الحرب العالمية الثانية طبقت هذه النظرية فى المصانع اليابانية الجديدة التى نشأت مكان المصانع التى دمرتها الحرب. كان الأمر حينئذ يقتصر على فحص السلعة بعد إنتاجها للتأكد من خلوها من عيوب الصناعة.

قام اليابانيون بعد ذلك بتطوير نظام مراقبة الجودة، وتحسينه كدأبهم فى عملية النقل ثم التطوير إلى الأفضل، وبعد أن كانت الفكرة تقتصر على مجرد التفتيش على الكمية المنتجة، واستبعاد الوحدات المعيبة وتصدير السلعة الجيدة فقط أى «التفتيش والفرز» فقط، تطورت النظرية إلى العمل لانتاج سلعة جيدة منذ البداية ودون الحاجة إلى تفتيش أو فرز، وذلك بأن تكون الرقابة والتدخل فى جميع مراحل الإنتاج، وقبل التصنيع النهائى للسلعة، واعتبر المصنع الذى يحتاج إلى تفتيش أو فرز ليقدم سلعة جيدة مصنعا متخلفا لابد من تطويره أو التخلص منه.

يؤمن اليابانيون أن السلعة الجيدة تكون دائما أرخص سعرا وأكثر تحقيقا لأهداف المستهلك، ويفسرون ذلك أنه نتيجة لاستخدام نظام مراقبة الجودة ـ بعد تطويره ـ فى التصنيع، فإنه يجرى تحديث الآلات المستخدمة وتطوير طريقة العمل، والتأكد من جودة الخامات المستخدمة، ويترتب على ذلك استبعاد خروج سلعة بمستوى ضعيف من الجودة، وبذلك نوفر المادة الخام، وساعات العمل الإضافية، والطاقة التى كانت تهدر فى إنتاج سلعة معيبة، وبذلك يتحقق الهدف «إنتاجية أفضل وسعر أقل».

تم برمجة كل خطوات العمل بطريقة دقيقة باستخدام الوسائل العلمية المتطورة «أوتوميشن» وذلك ضمانا لتشغيل المصنع طوال الأربع والعشرين ساعة بأقل قدر ممكن من الجهد البشرى وذلك وفق برامج مخططة مسبقا.

تبين أنه لكى يمكن الإعتماد على الميكنة الكاملة، فإنه من المحتم التأكد من القضاء على احتمال إنتاج وحدات معيبة، لأن الماكينات التى تعمل أوتوماتيكيا تستطيع للأسف أن تنتج بكفاءة تامة تلالا من الوحدات المعيبة وفقا للبرنامج الذى زودت به قبل أن يكتشف العنصر البشرى هذا الخطأ ويسرع لإيقاف الآلة وتعديلها، وذلك لأن الآلة نفسها لا تستطيع أن تفرق بين الغث والثمين.

جماعات مراقبة الجودة

وجد الخبراء اليابانيون أن نظام مراقبة الجودة يقدم الحل الأمثل، حيث يتم مسبقا حل وتطوير مشاكل التصميم فى كل جزء من الآلة، ثم يتم مراجعة طريقة التشغيل ومستوى المهارة للعامل، وحسن تعامله مع الآلة، ثم يمتد اختصاص اللجنة أيضا إلى دراسة خطوات التسويق والإعلان والخدمة بعد البيع. نظرا لتعدد وتنوع هذه الخطوات فإن عضوية جماعات رقابة جودة المنتج لاتتترك فى اليابان للمهندسين فقط، بل يساهم فيها كل العاملين بالمؤسسة.

تقوم هذه الجماعات بعملها بأسلوب تطوعى وذلك بعد ساعات العمل المحددة، وتبين للجان أنه نتيجة لتطبيق الميكنة الكاملة للمصنع، فقد العامل إحساسه بالسعادة وذلك لبعده عن المشاركة فى عملية خلق السلعة، ولكن العامل قد وجد أخيرا أنه من خلال عمله بجماعات مراقبة الجودة فقد أمكنه إشباع شعوره بالخلق والإبتكار والإضافة، وأصبحت عملية التفكير للتطوير إلى الأفضل بالنسبة للعاملين هى نوع من الرياضة الذهنية ـ كالشطرنج ـ يمارسها الجميع بسعادة ومتعة بالإضافة إلى أن الإدارة لا تبخل بالتشجيع المادى والأدبى لأصحاب المقترحات التى يثبت صلاحيتها.

إدارة الجودة الشاملة

يعترف اليابانيون أنهم وقد نجحوا فى تطوير المفهوم الأمريكى لرقابة

الجودة باتباع نظام حلقات أو جماعات مراقبة الجودة التى وصلت بالصناعة اليابانية إلى القمة، إلا أنهم واجهوا أخيرا التطوير الأمريكى الجديد للنظام اليابانى، حيث ظهرت النظرية الأمريكية التى تتحدث عن إدارة الجودة الشاملة، والتى تقوم فلسفتها على مجموعة من المبادئ الثابتة والمبينة تفصيليا والتى يجب على الإدارة أن تتبناها من أجل الوصول إلى أفضل أداء ممكن، وتعتمد النظرية أيضا على استخدام عدد من الوسائل لقياس مدى التحسن فى الجودة، وتحقيق الأهداف بعيدة المدى من خلال رضاء العميل، وتحقيق منافع للعاملين بالمؤسسة وللمجتمع ككل. ويرى اليابانيون أن النظرية الأمريكية الجديدة عن إدارة الجودة الشاملة لاتقدم جديدا لما هو حادث عمليا فى اليابان، ولكن الجديد فقط هو الإطارات المحددة التى وضعتها المنظمات الغربية مثل «الإيزو ٩٠٠٠» وغيرها كمعايير للجودة يجب الالتزام بها بدقة وذلك كشرط للحصول على حق تصدير السلعة إلى الدول الغربية المتقدمة.

العامل اليابانى:

تكلمنا عن تفوق الصناعة اليابانية لإعتمادها على أحدث وسائل التقنية الحديثة، وتبنيها لفكرة جماعات مراقبة الجودة وصولا إلى منتج ممتاز يتفوق على منافسه.

لكن كل هذه العناصر الإيجابية لا تكفى لتحقيق كل هذا النجاح ما لم يصاحبها وجود الإنسان المتميز الذى يؤمن أنه مهما صغر مركزه فهو صاحب رسالة يؤديها بإخلاص لتحقيق «الانتصار» الاقتصادى لمؤسسته ومن ثم لوطنه.

نلاحظ أن الصناعة فى اليابان لا تعتمد على المواد الأولية الموجودة بها، فاليابان فقيرة فى المواد الخام، وتستورد أغلبها من الخارج، ولكن التفوق

الصناعى يعتمد على قوة عاملة كبيرة تعمل بجدية وتعتنق مبدأ «عبادة العمل» أو كما نردد نحن فى غير جدية «العمل عبادة» مع وجود إدارة متميزة تحافظ على روح جماعية العمل وتساهم فى رعاية العامل، ومنح المجد الحوافز المالية والأدبية بحيث تؤدى هذه العناصر إلى تقوية روح الولاء والحب بين العامل ومؤسسته، ويشعر أنه فرد فى أسرة كبيرة يعتز بالانتساب إليها.

وقد أبدى زائر أمريكى ملاحظة طريفة بقوله «إن المصنع الأمريكى يبدو كثكنة عسكرية مسلحة، ينظر فيها المراقبون للعمال بشك وريبة، ويبادلهم العمال نفس الكراهية، أما فى اليابان فيبدو أن العامل اليابانى يعمل من تلقاء نفسه دون حاجة لمشرف يراقبه، ولا تشعر أن العامل حاقد على رئيسه، بل تحس أن الطرفين يعملان لنجاح المؤسسة».

يعتبر العامل اليابانى أقل العمال فى الدول الصناعية المتقدمة من حيث نسبة الغياب عن عمله، ومن حيث الإضراب عن العمل، وهو يقوم عادة بعمل إضافى فى مؤسسته تطوعا لمجرد رغبته فى إنهاء المهمة التى بدأها، ومن العجائب أن الإدارة اليابانية فى المؤسسات تحاول حاليا إجبار العمال على الحصول على كل أجازاتهم الرسمية التى يفضلون التنازل عن جزء كبير منها بلا مقابل لمجرد الخجل من إلقاء عبء العمل كله على الزملاء الذين لم يقوموا بالأجازة.

نظرا لظهور الصناعات الحديثة المتطورة والتى تعتمد على الميكنة الكاملة، وبالتالى تحتاج إلى عامل لديه المستوى المرتفع من الخبرة والمهارة والتى تكتسب عادة بدورات تدريبية تقيمها المؤسسة دوريا لعمالها، يتبع ذلك حرص الإدارة على المحافظة على هذه العمالة الثمينة، ولعل ذلك من أسباب نجاح نظام زيادة الأجر وفقا للأقدمية، وبذلك تضمن المؤسسة استمرار العمال المدربين فى مؤسستهم ليستفيدوا من طول مدة خدمتهم. ويرى العمال الممتازون فى نظام «العمالة الدائمة» الذى يضمن للعامل المجد مكانا له فى

المؤسسة حتى إحالته للمعاش حافزا للاستمرار فى مؤسسته وبذل الجهد للمشاركة فى تحقيق الأرباح.

تراعى الشركات الظروف النفسية والعلاقات الإنسانية، فلكل شركة ملابسها الرسمية الموحدة، والرءاسات ترتدى نفس زى العمال فى الشركة بلا أى تفرقة، وتشجع المؤسسة أفرادها على قضاء وقت فراغهم سويا، وتقيم لهم الملاعب الرياضية، وحمامات السباحة، وإمكانات المصايف الجماعية، وقاعات الاحتفالات للمناسبات الاجتماعية الشخصية - زواج وأعياد ميلاد - وبذلك تضمن المؤسسة أن أفرادها عندما يقضون وقتهم سويا فسيتحقق الهدف وهو أن تسود روح الجماعة بين العاملين.

عبر رئيس شركة سونى عن هذه الرابطة الجماعية بقوله «إن العمال اليابانيين يعملون، ويكافحون معا بإصرار لإحساسهم أنهم ركاب سفينة واحدة، ويجمعهم معا وحدة الهدف والمصير»، وقد ساعد على تحقيق النجاح بالنسبة للشركات اليابانية مبدأ «شركات العاملين لمصلحة العاملين»، بعكس المبدأ الأمريكى القائل بأن «شركات المساهمين لصالح المساهمين».

لاحظ خبراء علم الإدارة أن مفهوم علاقة الفرد اليابانى بعمله تختلف تماما عن مفهوم قرينه الأمريكى أو الغربى، فالأخير يعتقد أن العمل ماهو إلا وسيلة للحصول على دخل كاف يمكنه من إشباع حاجاته فى الحياة، والاستمتاع بها خارج مكان العمل. أما العامل اليابانى فإنه يؤمن أن الحياة والعمل يشكلان نسيجا واحدا متداخلا، بل يجد اليابانى رضاء نفسيا ومتعة عندما يمكث فى عمله بعد ساعات العمل المحددة - بدون أجر إضافى - لإنهاء عمل لم يتمه، أو لتنظيف الآلة التى يعمل عليها لتكون جاهزة ونظيفة دائما.

حق الإضراب:

يسمح القانون اليابانى الذى وضعته سلطة الاحتلال الأمريكى بعد انتهاء

الحرب العالمية الثانية للعمال بحق الإضراب، ولكن قلما يلجأ العمال لهذه الوسيلة، وعادة ما يطالب العمال بزيادة المرتبات وصرف المكافآت، ويهددون بالإضراب، ولكنه يكون تهديدا صوريا لأن كلا من اتحاد العمال والمديرين يثقون تماما أنه قبل الموعد المحدد لبداية الإضراب فإن الطرفين سيصلان إلى اتفاق يشمل تنازلات من كليهما ويقوم على توافق الآراء وليس نتيجة فرض رأى واحد متصلب من أحد الأطراف.

الاتحادات العمالية:

عملت سلطات الاحتلال الأمريكى بعد تسليم اليابان على قيام الاتحادات العمالية فى اليابان، ومساعدتها على التوسع، وشجع رؤساء الشركات العمال فى شركاتهم على الانضمام للاتحادات، وبذلك كان ظهور الاتحادات بمبادرة من رؤساء الشركات وليس نتيجة صراع مرير بين العمال والإدارة.

يوجد خلاف جوهرى بين الاتحادات العمالية فى أمريكا والاتحادات فى اليابان حيث ينشأ الاتحاد داخل كل شركة مستقلا عن العاملين فى الشركات الأخرى.

والاتحادات اليابانية تباشر نشاطها من منطلق شعار «وحدة المصير مع الإدارة»، ومن المفهوم أن الاتحاد سيبقى طالما استمر وجود الشركة.

لوحظ أنه فى اليابان توضع الحدود الفاصلة بين الملكية وبين إدارة الشركة من حيث الاختصاص والمسئولية، كما أن الفوارق بسيطة للغاية بالنسبة للتعويضات والمكافآت التى تصرف للإدارة والأخرى التى تصرف للعاملين بالمؤسسة.

هناك دستور غير مكتوب يحكم علاقات العمل فى المؤسسة وأهم عناصره:

ـ الإدارة والعمالة على قدم المساواة، وهما جزءان متكاملان فى مجموعة متعاونة، وليس هناك حساسية بالنسبة للوضع الاجتماعى مهما اختلف موقع كل فرد بالنسبة لطبيعة عمله.

ـ الإدارة والعمالة من حقهما معا الحصول على نصيب عادل من الأرباح عندما تكسب الشركة، وعليهما سويا أن يضاعفا من عملهما ليحققا للشركة إنتاجا جيدا يحقق أرباحا، أو يحول خسارة الشركة إلى مكسب.

ـ الشركة فى اليابان لاتؤمن بفلسفة الاقتصاد الغربى بضرورة تأمين الربح للمستثمر، ولكنها تعتنق فكرة محاولة تحقيق الربح مع مسئوليتها فى نفس الوقت عن تأمين استمرارية وظائف عمالها وضمان معيشتهم، ويكون ولاء الشركة لأفرادها، وليس لحملة الأسهم ولذلك يبادلها العاملون بها هذا الولاء والإخلاص.

الفصل السادس

رجل الأعمال اليابانى:

تقرر التقاليد اليابانية أنه عند حدوث مفاوضات لحل مشكلة ما بين جهتين متنازعتين فإن المؤسسة اليابانية لاتبعث محاميا عظيما لينوب عنها فى شرح دعواها والدفاع عن حقوقها، ولكنها ترسل أحد الوسطاء المعروف عنهم الكفاءة بالنسبة للقدرة على التقريب بين وجهات النظر، وأن يكون ذو شخصية محببة ودودة وحائزة على الثقة والاحترام مما يجعل لوجهة نظره قبولا طيبا لدى الأطراف المعنية.

يعترف علماء الإدارة فى الغرب أنه نتيجة لهذا الفكر اليابانى، فإنه فى اليابان يستطيع رجل الأعمال الغربى أن يكسب المناقشة "Can win the arguement" ولكن فى النهاية فإن اليابانى هو الذى يحصل على الصفقة "Can win the arguement".

ويراعى فى اليابان أنه بالنسبة للتعاقدات أو حتى فى الصياغات القانونية فإن العناصر لاتحدد بدقة، بل يحوطها الكثير من الغموض مع النص على أن كل ما لم ينص عليه فإنه يتم الاتفاق عليه بين الأطراف المعنية بعد «مشاورات فى إطار من حسن النية».

يعتبر رجال القانون والإدارة أن مثل هذا النص يشكل نقطة ضعف فى نصوص التعاقد مع طرف يابانى، ولكن البروفسور «إزرا فوجل» الأستاذ

بجامعة هارفارد يؤكد أن هذه القوانين والقواعد تصاغ بطريقة فيها الكثير من الغموض عمدا حتى يتاح لكل الأطراف المعنية أن تعبر عن رأيها وتشرحه بتوسع، وبذلك يمكن الوصول نتيجة المناقشات التى تتم «بحسن نية» إلى توافق آراء يرضى كل الأطراف، ويحفظ لهم «ماء الوجه» Keet face، ثم يصدر القرار باسمهم جميعا.

يقدم رجال الإدارة فى اليابان حكاية يشرحون بها جدوى أسلوبهم الهادئ فى المناقشة، والسماح بعرض كل وجهات النظر دون ضغوط على الطرف المقابل وإحراجه. تقول الحكاية أنه قام رهان بين الشمس والهواء على من منهما يستطيع أن يجبر المسافر مشيا على الطريق على أن يخلع معطفه. بدأت الريح تزمجر وتزيد من سرعتها وقوتها مما حمل المسافر على أن يزيد من تشبثه بمعطفه وإحكامه حول جسمه، وبدأت الشمس مهمتها فتركته يسير فى طريقه هادئا، وبعثت إليه بأشعتها الدافئة، فما لبث أن أحس بالدفء وخلع عنه المعطف.

يشكو رجل الأعمال الغربى لأن اليابانيين يكونون هادئين جدا خلال المفاوضات، ويتميزون بالصبر غير المحدود، وأنهم يستمعون أكثر مما يتكلمون ومن النادر أن يصيبهم الإجهاد، وأنهم عادة ما يصلون إلى أهدافهم فى الدقائق الأخيرة من الاجتماع بعد أن يبلغ الإعياء بالطرف المقابل حدا يدفعه إلى تقديم تنازلات كثيرة.

تنتاب الحيرة المفاوض الأجنبى وهو يلاحظ أن الجانب اليابانى يستمع فى هدوء، أو يتحدث فرد واحد فقط من أعضائه، أما الباقون فإنهم ينصتون وهم فى حالة استرخاء تام، بل ويعمد الكثيرون منهم إلى إغلاق أعينهم، والحقيقة أنهم قادرون على الحصول على إغفاءة قصيرة أثناء المباحثات دون أن يدرك الطرف الآخر ذلك، والمشكلة بالنسبة للأجنبى أنه كلما تأكد لديه أن شخصا معينا من المجموعة اليابانية قد استغرق فى النوم، فإنه يفاجأ به وهو يفتح عينيه مقدما ملاحظة ذكية تدل على متابعته للمناقشة، وبذلك يقع الطرف

الأجنبى فى حالة ارتباك وهو لايدرى على وجه اليقين من الذى غلبه النوم من الأعضاء اليابانيين، ومن الذى يغمض عينيه ليركز على حسن الاستماع، أما الجانب الأجنبى فسرعان ما يصيب كل أعضائه الإعياء والإجهاد نتيجة استمرارهم فى حالة دائمة ومستمرة من التيقظ والانتباه.

يتهم الأمريكيون المفاوضين اليابانيين بتقديم عروض غير جدية كسبا للوقت فى محاولة للهروب من الضغوط التى تعتزم السلطات الأمريكية تطبيقها عند فشل المفاوضات، وقد عبر مسئول أمريكى عن ذلك بقوله إن المفاوض اليابانى يقدم عند بداية المباحثات عرضا شاملا Package يبدو فى صورته العامة ممتازا، وسرعان ما يتبين أنه كالهدية المغلفة بالأوراق الملونة الجميلة، وكلما فتح غلاف ظهر غلاف آخر، وتتكرر العملية حتى اللفافة الأخيرة التى ترقد داخلها ورقة ملونة وقد كتب عليها «أنا صديقك» أو «أنا أحبك».

ويعنى الطرف الأمريكى أن العرض الجميل فى مظهره لم يكن جيدا، إنما يقدم كلمات رقيقة تتردد عن المودة والحب والتعاون دون مضمون عملى حقيقى.

تظهر فى كتابات الأمريكيين إحساسهم بصعوبة التفاوض مع اليابانيين، وقد حدث بمناسبة سفر وفد أمريكى لليابان للتفاوض مع المسئولين اليابانيين أن اقترب امريكى من صديقه رئيس الوفد مربتا على كتفه وقال له ما معناه كان الله فى عونك، ستعود إلينا وقد ارتفع ضغط دمك بعد أن تتفاوض مع أحفاد بوذا.

تبدأ مشكلة المفاوض الأمريكى عندما يبدأ الاجتماع الأول، وقد قام بإعداد دراساته المؤيدة بالأوقام وحدد طلباته بدقة، بل وقام بحجز تذاكر العودة بالطائرة بعد فترة اعتقد أنها كافية لإنهاء المباحثات. يواجه الطرف الأمريكى بأدب جم من نظيره اليابانى، وتتوالى حفلات التكريم ليلا ونهارا ويتخللها

بعض المفاوضات، واليابانيون مازالوا بعيدين جدا عن العنصر الرئيسى للاتفاقية، ويبدوا أنهم لايتعجلون الوصول إلى اتخاذ قرار. أما صاحبنا الأمريكى فهو تحت ضغط عصبى فكل يوم تصله «رسائل» من رئاسة المؤسسة للسؤال عما تم إنجازه. لايملك الأمريكى إلا أن يبدى دهشته مرددا لزملائه بالوفد:

- «ألا يعرف هؤلاء اليابانيون أن الوقت يمثل مالا؟» "Time is money".

الأسلوب الأمريكى يريد أن يصل إلى الهدف الرئيسى من المباحثات مباشرة، ولكن اليابانيين يفضلون الاقتراب من شخصية المفاوض الآخر - وليس من نصوص الاتفاقية - وذلك بهدف إنشاء علاقات خاصة معه، والتعرف عليه عائليا واجتماعيا، وفى أذهانهم صورة لاحتمالات المستقبل، وأن التعامل والتعاون ربما يتكرر، وأنه من الخير منذ البداية أن يقترب كل من الطرفين من الآخر بالنسبة للعلاقات الإنسانية التى تأخذ الأولوية على العلاقات التعاقدية. يفاجأ المفاوض الأمريكى وقد نفذ صبره، وأحس بإقتراب الفشل بأن الطرف اليابانى يعرف مسبقا كل شئ عن الشركة الأمريكية وأهدافها وأسلوب إدارتها والمشاكل التى تواجهها. هذا الأسلوب فى التعامل دفع أحد رجال الأعمال الأمريكيين ليصرح «بأن اليابانيين يعرفون عنه وعن شركته وعن أصله كل التفاصيل، وكذلك عن عائلته ومكان إقامته، وعن الأطعمة التى يفضلها، والمشروب الذى يتناوله، وهواياته، وأضاف ضاحكا بأنه متأكد أن اليابانيين يعرفون أيضا لون ملابسه الداخلية الخاصة».

ومازلنا حتى اليوم نقرأ تصريحات المسئولين الأمريكيين يتهمون فيها اليابانيين بالمماطلة والتسويف والتهرب من حل المشاكل المعلقة بينهما، بينما يشكو اليابانيون مرددين أن رجل الأعمال الأمريكى وكذلك المفاوض يستخدم معهم أسلوبا جافا متعجرفا مليئا بالتهديدات وأن ذلك ليس الأسلوب الأمثل للتفاوض بل تحول الأمر إلى فرض حلول جاهزة لا تراعى مصلحة الطرفين معا.

الإدارة فى اليابان:

أصبح لعلم الإدارة الحديث قواعد ونظريات يعرفها الجميع، ويتم تطبيقها حرفيا فى العالم الغربى، أما فى اليابان فقد يتم تجاهلها تماما، أو تطويرها وفقا للتقاليد اليابانية العريقة ومع ذلك تحقق أعظم النتائج. ففى العالم الغربى تسود نظرية حق الإدارة فى تعيين العامل وفى فصله"Hire and Fire" ، أما فى اليابان فالمبدأ السائد فى الشركات العظمى هو أن يكون عقد العمل ساريا مدى الحياة، وفى الغرب يسود التنافس الفردى لإثبات الذات والحصول على الترقية، أما فى اليابان فيطبقون المثل القائل «رأس المسمار الظاهر هو الذى يتلقى الضربات». بمعنى التأكيد على جماعية العمل ونبذ الفردية.

يختلف أسلوب اتخاذ القرار فى الحضارتين، ففى الغرب يتحمل رئيس المؤسسة المسئولية وينفرد بإتخاذ القرار، أما فى اليابان فلا بد أن يبدأ المشروع من أول السلم صعودا إلى مجلس الإدارة، ويصدر القرار بتوافق الآراء وليس بالأغلبية، وبذلك يشترك الجميع فى صنعه، وسنتحدث فيما يلى عن العناصر الرئيسية لنظام الإدارة اليابانى:

(أ) نظام التوظف مدى الحياة:

يتم اختيار العاملين فور تخرجهم ـ وفق احتياجات المؤسسة ـ وتقوم المؤسسات بتدريبهم على العمل الذى سيتولونه بغض النظر عن نوعية الدراسة ـ عدا الدراسات الفنية المتخصصة ـ يواصل العامل طريقه عاملا مع المؤسسة مع تكرر الدورات التدريبية حتى يبلغ سن التقاعد وهو مابين ٥٥ ـ ٦٠ سنة.

لايفصل العامل إلا لأسباب جوهرية للغاية مما يجعله حريصا على أداء عمله بكفاءة تسمح باستمراره وتمتعه بكل الميزات التى تمنحها مؤسسته، مع

تزايد راتبه كل فترة زمنية، أما إذا لحقت خسارة بالشركة ومرت بأزمة مالية فإنها تبدأ بتخفيض مرتبات كل العاملين، ولكنها لا تلجأ إلى إجراء «الفصل»، وقد تلجأ الإدارة إلى سرعة تغيير خط من خطوط الإنتاج بالمؤسسة لينتج سلعة جديدة يمكن أن تحقق ربحا يصلح العجز فى الإيرادات.

ورغم أن العامل يعرف أن استمراره فى العمل مضمون حتى سن المعاش إلا أنه لايستكين إلى التراخى والتكاسل والإهمال، بل يعطى مؤسسته دائما من وقته وجهده أكثر من القدر المطلوب منه، وذلك التزاما بالتقاليد العريقة التى يؤمن بها والتى تؤكد أن العمل «عبادة».

وتراعى الشركة عند بداية استخدامها للكمبيوتر أو لنظام الميكنة الكاملة أن تدرب ـ مسبقا ـ عمالها وموظفيها الذين ستستغنى عنهم للعمل فى أماكن أخرى بالشركة حيث يكون هناك حاجة لخبرتهم.

(ب) نظام الترقى والأجور:

نظرا لأن العامل اليابانى يرتبط بشركته مدى الحياة، فالمتبع أن تكون الترقية مبنية على عنصرى مدة الخدمة وعمر العامل، وذلك بمفهوم أن طول المدة يعنى خبرة أفضل، كما أن احترام السن هو جزء أساسى من التقاليد اليابانية.

قد ترغب الإدارة فى إعطاء إشارة لأحد العاملين بعدم حاجتها لخدماته لسبب ما، فعندما يحتاج الأمر إلى إجراء حركة ترقيات فإن الشركة ترقى من هو أحدث منه فى الخدمة، وهذا الإجراء تترجمه التقاليد اليابانية إلى ضرورة تقديم العامل طلب إنهاء خدمته وإلا فإنه سيكون موضع السخرية والإستهانة من العاملين معه، وقد تساعد الشركة العضو الخارج بالتوصية عليه لدى إحدى الشركات العاملة ـ من الباطن ـ مع المؤسسة الأم.

(جـ) أسلوب صنع القرار:

الأساس فى إدارة المؤسسات فى اليابان هو صالح العاملين وليس صالح المساهين الذين قد يتعجلون الربح ولو أضر بمخطط الشركة على المدى البعيد. يبدأ صنع القرار بدراسة مضمونه بواسطة اللجان الموجودة فى أول درجات السلم الإدارى، وتتصاعد الأبحاث مع المقترحات والإضافات حتى تصل إلى المستوى الأعلى، كل ذلك مع توافر شبكة معلومات ذات كفاءة عالية توضع بياناتها فى خدمة الباحثين، وبذلك تصبح عملية إتخاذ القرار عملية ديمقراطية تبدأ من القاعدة بطريقة لامركزية نظرا لمشاركة الجميع فيها، ويحترم القرار الذى تتوصل إليه المجموعة بأسلوب «توافق الآراء»، ويشبه اليابانيون هذه الخطوات بأنها تشبه العمليات التى تتبع عند نقل شجرة من مكانها لمكان أخر، فقبل النقل تتخذ الإجراءات لتنظيم وتجميع والمحافظة على جذور الشجرة سليمة، ويتم ذلك فى يسر وبغير عنف يؤدى إلى قطع أحد الجذور، ويسمى اليابانيون هذه العملية الفنية سواء فى إتخاذ القرار أو نقل الشجرة "Root binding"، ونتيجة للعناية التى تبذل فإن الشجرة تستقر فى مكانها الجديد وتستمر فى الحياة والازدهار.

أهم عناصر نجاح التجربة اليابانية

يعتبر ماحدث فى اليابان خلال القرن العشرين معجزة بكل المقاييس رغم أن اليابانيين يرفضون تعبير المعجزة. يعلل اليابانيون هذا النجاح بأنه نتيجة الولاء للوطن، والكفاح والجدية والتضحية التى قدمها المواطن اليابانى. لاينسى العالم أن اليابان قد استسلمت بعد إلقاء قنبلتين ذريتين على «هيروشيما» و«نجازاكى»، وأن الشعب اليابانى قد عاش بعد ذلك أياما صعبة، يعانى أفراده من مرارة الهزيمة وذل الاحتلال وقسوة الفقر والجوع، والتدمير الشامل لكل البنية الأساسية والمرافق.

نتساءل جميعا كيف عبرت اليابان هذه المحنة؟ وقاومت وعملت وكافحت حتى أصبحت حاليا دائنة لكل بلاد العالم، وتعتبر الآن النموذج والقدوة فى التخطيط والتنفيذ وإدارة المشروعات، وسنحاول بإيجاز عرض العناصر التى نرى أنها تشكل الأسباب الرئيسية لهذا النجاح اليابانى:

(أ) المزج بين الأصالة والمعاصرة:

عرفت اليابان كيف تمزج بين تقاليدها العريقة ومتطلبات النهضة الصناعية العصرية، فأخذت من القديم روح الولاء والانتماء للوطن وللمجتمع وللأسرة ومؤسسة العمل، واحترام الأكبر سنا والأقدم فى الوظيفة، والتوازن الرائع بين حق الجماعة وواجب الفرد ـ قبل حقوقه ـ وذلك بالإضافة لكل مستحدث فى العلم والصناعة.

(ب) توافر العلاقات الإنسانية:

تحرص الجهة الإدارية على توفير وتشجيع كل ما من شأنه تقوية العلاقات الإنسانية بين العاملين، يبدو هذا واضحا فى مبدأ أن عقد العامل فى المؤسسة يستمر طوال حياته حتى سن المعاش مما يدفع العامل للولاء للمؤسسة وبذل جهده، لشعوره بأنه جزء من المؤسسة، ولذلك يجد من واجبه المحافظة على الآلة التى يعمل عليها ومحاولة الابتكار من خلال جماعات تحقيق الجودة لتحسين السلعة المنتجة.

(جـ) الشعور بالانتماء للوطن وللمؤسسة:

يؤمن المواطن اليابانى بأن حسن أدائه لعمله ـ مهما كانت بساطته ـ إنما هو مساهمة منه لرفعة بلده، ومن المبهر مراقبة عامل النظافة وهو يؤدى عمله

فى الشارع بحماس ودقة كما لو كان مستقبل اليابان كله متوقفا على حسن أدائه لعمله.

(د) السلام الاجتماعى:

يوصف المجتمع اليابانى بأنه مجتمع الطبقة المتوسطة ويسوده السلام الاجتماعى، فلا تصادم ولا مجابهة بين طبقات المجتمع. أما الحركات المتطرفة التى تظهر كل حين فإنها ظواهر مرضية متطرفة فى المجتمع تعتنق مبادئ فوضوية للقضاء على السلطة وصولا إلى أهداف غيبية مطلقة تتعلق بنهاية العالم. وتمثل هذه الظواهر نسبة ضئيلة من مجموع السكان، وتعتمد على التضخيم الإعلامى لإثبات وجودها. يسود المجتمع الكثير من مظاهر التعاطف والإرتباط العائلى والوظيفى، ويغذى هذه العلاقات من المودة والتراحم تعاليم دينية بوذية أو من الشنتو.

(هـ) الإحساس بالتجانس:

يشعر اليابانيون أنهم شعب واحد متجانس، شعب فرض عليه أن يعيش فى عدة جزر محاصرة بالمياه من كل جانب مما أعطاهم الإحساس بضرورة الكفاح للبقاء. قرر حكام اليابان فى القرن السادس عشر عزل اليابانيين بمنع دخول الأجانب أو خروج اليابانيين من جزرهم، ترتب على هذه العزلة أن انصهر الجميع فى بوتقة حضارية واحدة لها نفس التقاليد والأخلاق واللغة فأصبح لديهم الشعور بأنهم جماعة واحدة، يتكاتفون ويتعاونون وشعارهم «لابد من التعاون للبقاء» بالإضافة إلى «المقولة» «نحن وهم» أى اليابانيون كطرف والعالم الخارجى كطرف آخر.

(و) اتباع التعليمات «الدينية»:

يتبع اليابانيون تعليمات الديانة البوذية ومذهب الشنتو اتباعا فعليا،

ويطبقون هذه القواعد بما فيها من حض على مكارم الأخلاق، واحترام كبار السن، وأن العمل عبادة، ولعل من أهم المفاهيم السائدة فى المجتمع نظرية «العيب» "The Shame" أى أن يخشى الفرد الجزاء الذى سيلقاه من المجتمع قبل أن يخشى تطبيق مواد القانون.

(ز) أسلوب العمل الجماعى:

يسود أسلوب العمل الجماعى كل المجالات، وهو قائم على النظام التقليدى المتوارث فى إدارة مزارع الأرز فى العهد القديم، كانت المجموعة تعمل كلها، ويوزع عليها بالعدالة ناتج عملهم، ولعل خير ما يشرح هذه الفلسفة هو ما صرح به رئيس شركة «سونى» بقوله «إن اليابانيين يعملون ويكافحون معا بإصرار لإحساسهم بأنهم ركاب سفينة واحدة، يجمعهم معا وحدة الهدف والمصير». علق فرنسى من رجال الإدارة على أسلوب اليابانيين فى العمل حيث شبههم بالنمل قائلا: «إن أفراد مستعمرة النمل قد علموا أنفسهم رقص الفالس، ولكن المدهش ليس لأنهم يرقصون الفالس جيدا، بل لأنهم جميعا يشاركون فعلا فى الرقص».

(ح) تحديد نسبة الإنفاق العسكرى:

نص الدستور اليابانى الذى فرضه الأمريكيون بعد الاحتلال على تحديد الإنفاق العسكرى بحيث لايزيد عن ١ ٪ من الدخل القومى، وتمسكت اليابان بهذا النص، وبذلك تمكنت من التركيز على النهوض بصناعتها دون تحميل ميزانيتها مصروفات التسليح المتزايدة رغم الضغوط الأمريكية لتجاوز النسبة المنصوص عليها فى الدستور.

(ط) توافر قاعدة معلومات متميزة:

تتوافر فى اليابان قاعدة معلومات ذات كفاءة عالية تتيح للمسئول فى

الحكومة أو النشاط الخاص سهولة وسرعة الإطلاع على البيانات المطلوبة وتبادلها، وانسيابها إلى كل الجهات التى تحتاجها. تتعاون الجهات الحكومية مع القطاع الخاص فى ميدان تبادل المعلومات والتخطيط، ولا تتردد الحكومة فى دعم النشاط الخاص فى مواجهة الصناعة الأجنبية بإمداده بكل المعلومات المتاحة ـ وهى كثيرة ـ بحيث تساعده على المنافسة والتفوق.

(ى) القرارات المدروسة والتخطيط المتقن:

ترسم الحكومة استراتيجية المستقبل بعد دراسات مكثفة على كافة المستويات مع الخبراء والمسئولين والمستفيدين، وتضع التخطيط المتقن للأهداف القريبة والبعيدة المدى، ثم تقوم بتوجيه سياسة الدولة والقطاع الخاص لتحقيق هذه الأهداف ولديها الآليات الكفيلة بالنجاح ـ القروض، الإعفاءات، المعلومات، قوة القانون ـ.

(ك) تفوق نظام التعليم اليابانى:

نجح نظام التعليم اليابانى نتيجة عوامل سيرد ذكرها فيما بعد فى إمداد المؤسسات بطبقة متعلمة لديها العلم والخبرة الكفيلان بالسيطرة على الآلة الحديثة.

الفصل السابع

من البروتوكول الياباني:

يضم البروتوكول - أو الاتيكيت كما يسمى أحياناً - مجموعة القواعد والمبادئ المكتوبة وغير المكتوبة التى تنظم المجاملات وأسلوب الحفلات والمناسبات الرسمية، وقد تبدو القواعد المتبعة عتيقة وتخطاها الزمن، ولكن اتباعها يعطى حدودا يرعاها الجميع، مما يطبع التعامل بطابع من الرقة والبساطة والمودة مع الفهم المشترك. ويمكن تلخيص الاتيكيت بأنه فن الخصال الجميلة وحسن التعامل مع الآخرين.

والبروتوكول فى اليابان له جذوره الممتدة عبر التاريخ، وله قواعده وأصوله البعيدة كل البعد عما يعرفه الغربيون. فاليابان، الدولة التى حقق ميزانها التجارى فائضا بالنسبة لكافة الدول التى تتعامل معها، والدولة صاحبة السبق والريادة فى كل مايتعلق بالسيارات والأجهزة الإلكترونية والروبوت، هذه الدولة التى تفوقت صناعاتها الحديثة، ماتزال اليوم تحترم وتمارس كل شعائر البروتوكول اليابانى التقليدى، الذى يقوم على توقير الأكبر سنا، والذى يستمد أصوله من جذور الحضارة اليابانية القديمة، وسنعرض فيما يلى بعض هذه التقاليد التى نشعر بغرابتها فى عالم اليوم.

أسلوب التحية:

تتم التحية فى العالم الغربى بالسلام باليد أو القبعة، وفى أجزاء من العالم

العربى لابد من القبلات تطبع على الخد أو الجبهة أو الكتف، أما فى اليابان فالتحية تكون بالانحناء فقط ولا مجال للسلام باليد.

التحية بالانحناء وفقا للتقاليد اليابانية لها ثلاث درجات، أولاها وتسمى «سايكيرى» "Saikeirei" حيث يتم الانحناء ببطئ ولأسفل حتى تقترب الجبهة لمحاذاة الركبة، وبطريقة تقليدية تعبر عن الطاعة التامة، وهذه التحية الرسمية كانت مخصصة لتحية الامبراطور فقط، وقد تم إلغاؤها بعد هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية، ويقوم الآن اليابانيون بتحية الامبراطور التحية العادية المتبعة مع الأشخاص الآخرين مع التوقير والاحترام الشديدين.

الطريقة الثانية وهى المعتادة الآن فتتم إما من الوضع جالسا أو واقفا. يضع الشخص الجالس يديه على الأرض والكفين لأسفل وبينهما مسافة من ٤ ـ ٦ بوصات، ويبدأ فى الانحناء تجاه الأرض فى هدوء وبطئ، ويستمر وفقا لدرجة الشخص الذى توجه إليه التحية، أما الانحناء من الوضع واقفا، فيكون الشخص واقفا مرتفع التامة وناظرا للأمام، ويحنى جسمه بزاوية ثلاثين درجة مع إنزال الأيدى والأكف لأسفل لملامسة الركبتين، وبعد الثبات فى هذا الوضع لمدة قصيرة ترفع الرأس قليلاً، ويراعى أن الانحناء يكون من أعلى العمود الفقرى وليس من نهاية الفقرات، ويتكرر الانحناء مرات عديدة وفقاً للمركز الاجتماعى أو لسن الشخص الموجه إليه التحية.

هذه هى القواعد الأصلية للانحناء فى المجتمع اليابانى، أما بعد احتكاك الحضارة اليابانية العريقة بالحضارات الحديثة سواء عن طريق السياحة أو العمل بالخارج، فقد بدأت القواعد «الكهنوتية» تتراخى قليلاً.

ظهر الآن أسلوب يطلق عليه «الانحناء الخفيف» الذى يراعى تعقيدات الحياة الحديثة وسرعتها، وهو يكتفى الآن بالانحناء الخفيف سواء فى وضع الجلوس أو الوضع واقفاً، وهى انحناءة بسيطة تتم بزاوية ١٥ درجة فقط، وعادة ماتترك الأيدى فى جانب الجسم دون ملامسة الركبة، ومع ذلك فإنه من غير المقبول حتى اليوم أن يكتفى بإحناء الرأس دون ميل العمود الفقرى.

من القواعد المرعية أن الأصغر سناً هو الذى يبدأ بتحية الأكبر، وصاحب المنصب الأقل يحيى من هو أعلى منه منصباً، ولا يكتفى بأداء التحية مرة واحدة بل لابد من تكرارها، ويراعى أن الأصغر سناً أو الأقل درجة هو صاحب الانحناءة الأخيرة، وهو الذى ينحنى بزاوية أكبر ممن توجه له التحية.

يمكن لمن يفهم قواعد التعامل فى المجتمع اليابانى أن يتبين بسهولة درجات وسن الموجودين من كيفية أدائهم للتحية، أو أسلوب تحية الآخرين لهم، وعدد مرات الانحناء. إذا صادفت الأم من يجب عليها تحيته وهى تحمل طفلها، فإنها تنحنى مؤدية التحية كما يجب أن تكون، ثم تضغط رأس الطفل الذى تحمله إلى أسفل تحية للطرف الآخر، وهكذا يكبر الطفل وقد حفظ أول قواعد الحضارة اليابانية القديمة: الاحترام والتوقير.

الزيارات ومشكلة الحذاء:

عند وصول الضيف للمنزل اليابانى التقليدى، فإنه يستأذن لدخول المنزل بصوت مرتفع، وحينما يؤذن له يخلع الحذاء بحيث تكون مقدمته فى اتجاه المنزل، لأنه من واجب الخادمة أو المضيف إعداد الحذاء بعد ذلك ليكون جاهزاً للضيف والمقدمة باتجاه الشارع، أما إذا كانت الزائرة سيدة، فالأرق أن تقوم هى بنفسها بهذه العملية حتى تعفى المضيفة من هذه المشقة.

إذا قدم للضيف «شبشب Slipper»، فعليه أن يلبسه قبل دخول المنزل أو المكان، أما إذا لم يقدم له، فيكفى أن يترك حذاءه بالخارج، والحكمة القديمة من وراء خلع الحذاء هى الرغبة فى الإبقاء على المنزل من الداخل طاهراً بدون تلوث بما قد يحمله الحذاء من غبار أو مخلفات من آثار الطريق.

وكم حدثت مشكلات للسيدات المصريات، وقد حضرن متأنقات للحفل اليابانى الذى دعين إليه فى منزل أو مطعم يابانى، وواجهن مشكلة خلع الحذاء

الأنيق الذى أحكم تثبيته بسيور من الجلد، وحلقات من المعدن، وتتكرر المشكلة عند الانصراف ومحاولة لبس الحذاء مرة ثانية، خاصة مع افتقاد الجسم لعنصر المرونة العضلية.

الهدايا:

الأصل أن الهدية لاتفتح أمام مهديها حتى لايصيبه الحرج، ومن القواعد الهامة ضرورة مراعاة أن تكون الهدية ذات سعر معقول بحيث يمكن للمهدى إليه إذا توافرت الظروف أن يقدم هدية لمن سبق له مجاملته دون أن تضطرب ميزانيته، وعادة مايتم تبادل الهدايا فى أول العام الجديد، وفى مناسبات الزواج وأعياد الميلاد، والمواليد الجدد، وعند الترقية فى الوظائف أو النجاح أو الشفاء من مرض.

تلف الهدايا دائماً فى ورق جميل، ويراعى أن تلف الهدية بحيث تكون نهاية اللفة الأخيرة على الوجه العلوى من الهدية، وأن تصل نهاية ورق اللف إلى النهاية اليسرى للهدية، أما فى المناسبات غير السعيدة ـ كالوفاة مثلاً ـ فيعكس الوضع، وهى مسألة حساسة على الأجنبى أن يترك تنفيذها للمختصين فى محال بيع الهدايا الذين سيسألونه حتماً عن مناسبة الهدية.

وتقدم هدايا مالية من الأهل أو الأصدقاء للعروسين عند الزواج، وعادة ماتوضع فى مظروف خاص ملون يباع بالمكتبات ومعها كرت باسم المُهدى وتترك عادة على مائدة مخصصة لذلك فى مدخل مكان الاحتفال.

ويتم كذلك تقديم الهدايا للأهل سواء عند الوفاة أو فى المناسبات الدينية، وتوجد مظاريف عليها خطوط سوداء مخصصة لهذه المهمة وتباع فى المكتبات، وعادة ما يوضع بها مبلغ من المال مع كرت باسم المُهدى ويقدم لأهل المتوفى وذلك لشراء بخور أو ورد، أما الأقربون فيقدمون عادة هدايا من الفاكهة والحلوى أو الورود الطبيعية والصناعية.

برتوكول الأكل:

تقضى التقاليد بأنه بعد التجمع لتناول الطعام، وقبل بدايته أن يقول كل فرد لجاره مستأذناً "Itadakimasu" «إيتادا كيماسو» أى «إننى أستأذنك فى تناول الطعام»، ويتبع هذه الجملة بانحناءة بسيطة، ونظراً لأن الأرز هو الطبق الرئيسى فى اليابان، فستجد على يسارك ـ على المائدة ـ الطبق الخاص به، وعليك رفع غطاءه ووضع الغطاء على الجانب الأيسر مواجهاً للسقف، وعند بداية تقديم الأرز لك فعليك أن تضع الطبق الفارغ على الصينية الصغيرة المقدمة لك، لتضع لك المضيفة أو المضيف فيه كمية من الأرز، وبعد ذلك تضع الصينية أمامك على المائدة. يتلو ذلك أن تأخذ العصاتين (بديل الملعقة) بيدك اليمنى، ثم ترفع طبق الأرز بيدك اليسرى لتأكل بالعصاتين. سيمر الزائر لليابان بتجربة محاولة اصطياد الأرز بالعصاتين، وعليه أن يتعلم السر الذى يتكون من خطوتين، الأولى تكوير كمية من الأرز ـ مسلوق وملتصق ـ بحيث تشكل كتلة واحدة، وبذلك يسهل التحكم فيها بالعصاتين، والخطوة الثانية إمساكها بالعصاتين مع مراعاة تثبيت العصا السفلى وتحريك العليا فقط للقبض على «كتلة» الأرز.

إذا أعجبك الأرز اليابانى، أو إذا كنت حصيفاً وتعلم أنه غالباً سيكون بالنسبة لك فى هذه الوليمة اليابانية هو الطعام الرئيسى، لجهلك بالأطباق الأخرى وتخوفك من تذوقها، فإذا أردت طلب كمية أخرى فعليك أن تترك قليلاً من الأرز فى طبقك، وستصل الرسالة إلى المضيف أو المضيفة، وسرعان ما تمنح كمية أخرى من الأرز، أما عند اكتفائك بهذا القدر من الأرز، وعدم الحاجة لكمية أخرى فعليك بالتهام كل الكمية المقدمة لك مع عدم ترك أى حبات أرز بالطبق، وبهذا الطبق «الممسوح» سيعلم الجميع أنك لاتريد المزيد، وعند نهاية الطعام عليك وضع كل الأطباق على الصينية الخاصة بك بعد تغطية الأطباق بأغطيتها.

افعل ولا تفعل فى اليابان:

* يحرص اليابانيون على عدم إظهار مشاعرهم العاطفية فى مكان عام سواء للفرح أو الحزن، وإنما يرسمون ابتسامة باهتة لامعنى لها، ومع ذلك فإنهم عاطفيون للغاية، فالنجاح فى الامتحان يكون رد فعله فى المنزل بكاءً حاداً متصلاً، والأخبار السيئة أو الهزيمة فى الرياضة أو الفشل فى الامتحان تنتج طوفاناً من الدموع، ولكن الشرط الوحيد ألا يكون ذلك فى مكان عام.

* الأحضان التى يتبادلها الرجال ـ الشرقيون واللاتين ـ غير مقبولة فى المجتمع اليابانى، أما تبادل القبلات بين الرجال فإنها خطيئة لا تغتفر لا خطأ فقط.

* تعتبر المناقشة بصوت مرتفع أو التلويح بالأيدى مما يجافى الذوق السليم، وكذلك إعطاء التصرف وصفه السليم المباشر، كالقول بأن الاقتراح سيىء، أو غير مقبول أو حتى غير متوازن، والأفضل الالتجاء للجمل الطويلة غير المباشرة التى توصل لنفس المعنى.

* الأجنبى عليه أن يحمل مجموعة من «كروت الزيارة» التى عليها اسمه ووظيفته، وتوصيفاً كاملاً للوظيفة، ويفضل وجود هذه البيانات مكتوبة باليابانية بالإضافة للإنجليزية، وسيلاحظ أنه كلما تقابل مع شخص يابانى فلابد من عملية تبادل الكروت، وما يتبعها من دراسة الموقف الوظيفى، وذلك هو الذى يحدد مستوى الاحترام الذى يقدم له، مع ضمان الحد الأدنى اليابانى المتميز.

* يعتبر مظهراً من مظاهر الأدب أن تضع المرأة أو البنت يدها أمام فمها وهى تضحك، فإن ظهور الأسنان عند الضحك يعتبر منافياً للأدب.

* إن اليابانى الذى أصيب بأنفلونزا، أو يشك أنه على وشك الإصابة بها يضع على أنفه وفمه غطاءً أبيض يعلق من طرفيه بالأذنين، ويباع فى

الصيدليات وكافة المحلات. ويعتبر منظر الكثيرين الذين يضعون هذا الغطاء خلال فصل الشتاء فى الشارع أو فى وسائل المواصلات منظراً معتاداً لايلفت الأنظار، ويرى اليابانى أن هذا الغطاء وسيلة مثلى لتجنب التقاط عدوى الأنفلونزا من الغير فى الأماكن المزدحمة، كما أنه الوسيلة الفعالة لعدم نشر العدوى بين الآخرين الذين يحيطون به وذلك استجابه لإحساسه «بواجبه».

* كثيراً مايردد اليابانى وهو ينصت إلى محدثه قائلاً "Hai" «هاى» مع هزة من الرأس، رجاء عدم الوقوع فى الخطأ مثل الكثيرين من المفاوضين الأجانب، واعتبارها موافقة على ماسمعه الشخص اليابانى، إنها تعنى فقط «إننى أستمع لك جيداً».

* لاتتعجل مناداة زميلك اليابانى باسمه الأول، فذلك يشعره بالحرج وعدم الارتياح، وعليك الانتظار حتى يأذن لك فى ذلك، وعادة لاترفع الكلفة أثناء التعامل الرسمى.

* مطلوب من الأجنبى فى اليابان، أن يكون لماحاً سريع البديهة والاستجابة مع حسن التصرف، فكثيراً ماحدث أن أجنبياً انحنى لتحية زميله اليابانى فى نفس اللحظة التى مد فيها اليابانى يده للتحية على الطريقة الغربية، فكل منهما حاول مجاملة الآخر بأسلوبه.

* استخدام الفكاهة بلغة أجنبية مع اليابانين حتى لو كانوا يجيدون هذه اللغة تسبب الكثير من الحرج لأنهم رغم معرفتهم بمفردات الكلمات إلا أنه من الصعب عليهم معرفة أين تكمن «النكتة»، ولذلك من الأفضل ألا يلجأ الأجنبى للفكاهة حتى فى حالة وجود مترجم ضماناً للسلامة.

* يفضل للأجنبى فى اليابان أن يستخدم حذاء لايحتاج لرباط، ويمتنع تماماً عن استخدام الحذاء ذو الرقبة الطويلة «البوت» حتى إذا دخل منزلاً يابانياً أو مطعماً فلا تشكل عملية خلع الحذاء أو لبسه مشكلة، وخاصة أن المساحات المتاحة للحركة ضيقة، مع مافى التأخير من مضايقة لباقى

الموجودين الذين ينتظرون دورهم للبس الحذاء، وهذه المحاذير تسرى بالنسبة للسيدات كما تسرى على الرجل.

* عند انتقال الأجنبى إلى مسكن مجاور لمساكن يقيم بها يابانيون، فمن اللياقة أن يقوم خلال الثلاثة أيام الأولى لانتقاله بزيارة جيرانه زيارة تحية وفقاً للعادات اليابانية. ستفيد هذه الزيادة، ويحصل الزائر على نصائح تجعل حياته أكثر سهولة بالنسبة للترتيبات والمعلومات عن الخدمات فى المنطقة، ومن المعتاد أن يحمل الزائر معه هدية بسيطة «فوطة» أو مجموعة صغيرة من الصابون أو الكعك، وسيجد أنه بعد فترة قصيرة سيمر عليه مندوب جمعية الحى ليحصّل رسم العضوية، ومقابل ذلك سيرسل بانتظام نشرة الجمعية الدورية وبها معلومات مفيدة عن الحى كأسماء المدارس والمستشفيات والصيدليات، والأطباء، وأسماء وعناوين الفنيين الذين قد يحتاج لخدماتهم فى أعمال الكهرباء والسباكة والصرف الصحى.

ستصل للساكن الجديد أيضاً المعلومات عن مواعيد التدريب على عمليات إطفاء الحرائق ومقاومة الزلازل، وأخبار التيار الكهربائى والمواعيد التى تستأذن فيها الجهات الرسمية لقطع التيار قبل اتخاذ أى خطوة بفترة كافية. ستصل الساكن أيضاً التعليمات الخاصة «بالزبالة» والأيام المخصصة «للزبالة العادية» ، والأخرى المخصصة للأوراق والجرائد والكتب، والثالثة للأشياء الكبيرة المستغنى عنها كالمكاتب والسراير والمراتب والثلاجات القديمة وخلافه حيث تمر سيارة مجهزة فى هذه الأيام لرفعها إلى الأماكن المخصصة. وهكذا يجد الساكن الجديد أن جمعية الحى ترعاه بحيث تجعل الحياة أكثر سهولة ويسراً بالنسبة له.

* عند الجلوس على مائدة الطعام اليابانية المنخفضة الارتفاع فعلى الجالس أن يتخذ وضع القرفصاء، وليس من اللائق مد الأرجل للأمام تحت المائدة.

وإذا كنت ضيفاً مهماً فستقوم على خدمتك «جيشا» حقيقية أو مضيفة تقوم بمهمتها، وليكن واضحاً لك أن وظيفتها الوحيدة أن تساعدك على قضاء وقت سعيد وبرىء - وفق المفهوم اليابانى - بمساعدتك فى عملية الأكل والشراب، وإيقاد السجائر، وبعض ألعاب التسلية الخفيفة.. أو نغمات موسيقية مع خطوات يابانية راقصة، ولذلك فلا تفكر فى تجاوز ذلك وإلا فستلاحظ أن المضيفة - محل إعجابك - قد تم سحبها من القاعة واستبدلت بأخرى لا مجال «لمعاكستها».

* إذا كنت فى اليابان وتوقف التاكسى بناء على إشارتك فتذكر القاعدة الذهبية وهى ألا تلمس «أكرة» الباب، فالسائق يفتح الباب أتوماتيكياً بالضغط على زرار أمامه، ويغلق الباب بعد ركوبك بنفس الطريقة، وعند الوصول لهدفك عليك بدفع قيمة ماسجله العداد مع مراعاة المبدأ السائد فى اليابان بعدم تقديم «بقشيش» فى أى مكان، ولعل ذلك من كبرى نعم المعيشة فى اليابان.

* للأرقام أسرارها بالنسبة للتقاليد اليابانية، فرقم ١، ٣، ٥، ٧ هى أرقام تحمل السعادة، ورقم ٢ يعتبر رقماً محايداً، وعلى العكس فإن أرقام ٤، ٩ تعتبر أرقاماً مشئومة، لأن نطقها قريب من نطق كلمة الموت والمعاناة.

وعادة ما يقام حفل التأبين للمتوفى على الطريقة البوذية فى اليوم التاسع والأربعين (٤٩) بعد الوفاة.

يجب أيضاً مراعاة أن يكون مبلغ النقود المقدم كهدية تمثل أرقاماً سعيدة، وعند تقديم هدية من الزهور لمريض بالمستشفى فيراعى أيضاً أن يكون عددها من الأرقام السعيدة، ويلاحظ اختيار الزهور من الأنواع التى لاتتساقط أوراقها بسرعة، وكذلك لايستحب إهداء نبات فى وعاء لمريض بالمستشفى لأنه قد يرمز إلى طول مدة بقاء المريض بالمستشفى. ونلاحظ أنه فى اليابان لايباع البيض بالدستة (١٢) بل يباع عشرة فقط، وكذلك أطقم الصينى من أطباق

وأكواب وخلافه تباع الكمية التى يستخدمها عشرة أشخاص وليس إثنى عشر، وذلك تفضيلاً لرقم عشرة الذى يحمل معنى التفاؤل.

* يميل اليابانيون فى الاتصالات المكتبية إلى الشكل الرسمى، فالموظفون جميعاً يرتدون حلة كاملة، داكنة اللون ومعها الكرافت. يفضل عند إجراء مباحثات مع جانب يابانى ألا يرأس الوفد شخص صغير السن نسبياً، لأنه سيجد المقابل اليابانى له وقد تعدى الخمسين على الأقل، وسيعتبر الجانب اليابانى اختيار رئيس الوفد الأجنبى من الشباب نوعاً من الاستهانة وعدم التوقير والجدية. أما إرسال وفد برئاسة سيدة للتفاوض فى اليابان فهى مهمة تحمل بذور فشلها مقدماً مهما كانت كفاءة الرئيسة ومقدرتها.

الفصل الثامن

من التقاليد اليابانية

مراسم تقديم الشاى:

يطلق عليها باليابانية "Cha-no-Yu" ، وبالإنجليزية "Tea Ceremony" .

كلنا يعرف التقاليد الإنجليزية «المقدسة» التى تقضى بتناول الشاى عصراً، وكيف درسوا أنسب درجة لحرارة الماء، وكمية الشاى المحسوبة وفقاً لعدد الأكواب المطلوبة مضافاً إليها كمية تحسب لوعاء الشاى نفسه، كل هذه «اللوغاريتمات» للحصول على كوب من الشاى له مذاق متميز، وعرفنا الشاى فى مصر، وكيف أنه فى الريف وفى الصعيد يغلى لأطول مدة ممكنة، ومع كمية كبيرة من السكر يستمتع الشارب بسائل أسود اللون، حاد المذاق ويحوى كمية كبيرة من السكر، وهكذا تختلف الأنواع ولكن كله «شاى».

أما فى اليابان فيطلق لفظ الشاى ويسمى "Matcha" على الشاى المسحوق، وهو لايحمل نفس مذاق الشاى الذى نعرفه بل الأصل أنه يرمز إلى حضارة قديمة تسودها تقاليد مذهب «الزن» "Zen" الذى يهتم بالروح وصفائها، وتهدف حفلات الشاى إلى ممارسة الطقوس الجمالية فى جلال وسكينة، يحوطها إطار من مهمات بسيطة، تستخدم فيها أدوات رقيقة ومحدودة، والكل ينعم بالهدوء وبلحظات صافية من التأمل والمتعة الروحية هروباً من الحياة السريعة الصاخبة المجهدة التى يعيشها خارج «كوخ الشاى».

تجرى مراسم تناول الشاى فى بيت الشاى، وهو عادة كوخ متواضع، وغالباً مايقع فى حديقة وحوله مياه جارية. ويراعى الجميع دائماً القيام بغسل الأيدى والمضمضة فى حوض الماء المعد خارج «منزل الشاى»، وذلك كنوع من التطهر والنقاء، ثم يدخلون بعد ذلك إلى منزل الشاى.

يتميز بيت الشاى بأن باب الدخول صغير ومنخفض بحيث يضطر الداخل - حتى اليابانى - إلى الانحناء، وقد صمم ذلك عمداً كنوع من أنواع إعطاء الإحساس بالتواضع والاحترام للمكان وذلك بداية للاندماج فى هذا الجو المليء بالسكينة والهدوء. أما القاعة فهى بسيطة فى كل شيء وقد فرشت بحصير «التاتامى» مع عدة «شلت» ذات لون هادئ، وصنعت الحوائط من حواجز خشبية رقيقة للغاية تحيط بورق يابانى أبيض خفيف يسمح بدخول الضوء بعد تهدئته.

يجلس الضيوف فى أماكنهم، ويبدأ المضيف أو من ينيبه للقيام بهذه العملية بوضع قطع الفحم الموقدة فى الوعاء المخصص لذلك، ثم يضع قليلاً من البخور، ويبدأ فى ترتيب أدوات صنع الشاى بهدوء شديد بحيث تكون كلها فى متناول يده، ثم يبدأ فى تناولها بطريقة مراسمية درست لتحتاج إلى أقل حركات ممكنة حتى لايعكر صفو الهدوء.

تبدأ المراسم أولاً «بالشاى الثقيل» "Koi-Cha"، وهو مسحوق الشاى المصنوع من أوراق الشاى الصغيرة التى فى أعلى الغصن، وذلك بعد نزع الأجزاء الصلبة منها. يضع المضيف بعضاً من هذا الشاى فى وعاء فخارى، ويضيف إليه الماء الساخن، ويقلبه بأداة صغيرة من «البامبو» تشبه فرشاة الحلاقة، وذلك دون إضافة أى مادة سكرية، وبذلك يصبح الشاى جاهزاً، وسيجد المصريون أن طعمه على أحسن الفروض لن يختلف كثيراً عن طعم «الملوخية الناشفة» لو أضيف إليها الماء القراح.

يقدم هذا الإناء إلى الضيف الأول يليه الثانى حتى ينتهى بالأخير، وقد قصد من شرب الشاى من وعاء واحد إيجاد علاقة المودة والتقارب والخصوصية بين الحاضرين. ولشرب هذا الشاى «الثقيل» مراسم معينة، فعند استلام الضيف للإناء سيقدم له فوطة ورقية صغيرة يضعها على كفه الأيسر، ويضع فوقها إناء الشاى، ثم يحيى جاره بإيماءة من رأسه قائلاً: "Osaki-ni" أى «أستأذنك فى تناول الشاى قبلك»، ويدير الإناء نصف دورة، ويتناول ثلاث رشفات ونصف ـ الشاى شديد المرارة ـ وبعدها يمسح الإناء لمن يليه، وتتابع المراسم حتى الضيف الأخير الذى يناول الإناء للمضيف.

يقوم المضيف بغسل الإناء بهدوء بالماء الموجود أمامه، ثم يمرر الإناء للضيف الأول، الذى يقوم بتأمل الإناء بدقة وإعجاب، ثم يمرره لجاره، وعند الانتهاء من مرحلة التأمل فإن من قواعد البروتوكول أن يسأل الضيف الأول مضيفه عن أصل هذا الإناء وتاريخه، وغالباً ما سيسمع تفصيلات مثيرة.

تنتهى بذلك المرحلة الأولى من مراسم تناول الشاى، ونأتى إلى المرحلة الثانية، وهى مرحلة الشاى «الخفيف»، وهو أقل كثافة من سابقه، ويقدم وعاء صغير لكل ضيف، يقوم المضيف بإعداده لكل واحد على حده، ويقدم معه نوع بسيط من الحلوى يتناوله الضيف بأصابع يده. يتناول المدعوون الشاى فى رشفات صغيرة مع الاستغراق والاستمتاع بتأمل «جمال» الكوب الخزفى، وتتم هذه الخطوات فى هدوء وصمت، وتتميز كل التحركات التى تتم فى منزل الشاى بالبساطة والتواضع والمشاعر الصادقة والصفاء الروحى، وبذلك يتحقق الهدف التقليدى من هذا الاحتفال وهو العيش فترة من الزمن بعيداً عن التوتر العصبى الذى تسببه المدينة، والعودة للحياة اليومية وقد هدأت الأعصاب وأصبح الإنسان أكثر بهجة وإشراقاً.

هناك تجربتان عشتهما مع مراسم تناول الشاى فى طوكيو أجد من المناسب أن أذكرهما هنا:

* التجربة الأولى، فكانت الدعوة لشخصية مصرية كبيرة حيث دعاه زميله اليابانى لحضور حفل مراسم الشاى فى حديقة منزله. شرحت للضيف المصرى تفاصيل ما سيراه ويمارسه ويشربه وذلك تجنباً لمأزق مفاجئة، ولكن الحذر لايمنع تصاريف القدر.

اقتربنا من منزل الشاى، وبدأنا ندخل فى موجة «السّكينة» أى الهدوء النفسى، وكان علينا عند المدخل أن نخلع الأحذية، وهنا حدثت الطامة الكبرى، فإن الضيف المصرى وقد أراد خلع حذائه مع حفظ توازنه، استند بيده «الثقيلة» على الجدار المجاور له الذى انهار محدثاً دماراً كبيراً، ولم يدرك صاحبنا أن الجدار مصنوع من ورق خفيف، وأن العوارض هى مجرد شرائح رقيقة جداً من الخشب لاتتحمل الضغوط. كان مأزقاً مصرياً أطاح بكل مشاعر السكينة التى حلمنا بها.

* أما التجربة الثانية، فكانت مع «الأب هاجامى» كبير رهبان البوذية فى اليابان، وكان لى شرف استضافته فى منزلى بالقاهرة، وأراد أن يرد لى التحية بأحسن منها فتفضل ودعانى إلى منزل الشاى فى المعبد الذى يرأسه. مرت الإجراءات كلها وفقاً للمراسم التى حفظتها، إلا أننى لاحظت أن الكوب الذى قدم لى ـ لكل ضيف كوب ـ كان مصنوعاً من الفخار ومنظره وخامته متواضعان للغاية، إلا أننى وفقاً لما ـ ذاكرته ـ من مراسم قد أبديت إعجابى بالكوب مع تساؤلى عن أصله وصناعته، وهنا سمعت إحدى مفاجآت العمر، فقد تبين أن هذا الكوب هو كوب صنعه الراهب منشئ المعبد الذى نحن بداخله منذ مايزيد على المائتى عام، وكان الكوب مخصصاً له، ويوضع عادة فى خزانة المعروضات الثمينة بالمعبد، ولكنه استخرج خصيصاً هذا اليوم ليقدم لى لاستخدامه كنوع من التكريم.

وضاعت السكينة والصفاء، وقد تحولت كلى إلى أعصاب متوترة هدفها الأول هو المحافظة على الكوب «الأثرى» حتى يعود إلى مكانه سالماً فى «المعرض».

«الإيكيبانا» أو فن تنسيق الزهور:

«الإيكيبـانا» هـى جزء من أسـلوب الحياة اليـابانية، يندر أن تدخل مكاناً دون أن تجـد فـيه الـورود، والأغـصـان وقـد رشـقت فى فازة جـمـيلة. والإيكيبـانا فن منتشر فى اليابان وله مدارس متعددة، ولكل مدرسـة منها طريقتها وفلسفتها فى تنسيق الزهـور، وتشكيل التكوينات من الناحية الجـمالية. وتقبل السيدات على تعلم أسـرار هـذه الـهواية، فى المدارس المختصـة، ويقمن بعد ذلك بتدريسـها للسيدات فى الحى الذى يقمن فيه مقابل أجر.

تجـمع كـافة مـدارس تنسـيق الزهـور عـلى أن عمـلـية ترتـيب الزهـور تشكل متعة وسعـادة للشخص الذى يقوم بها، فهو دائماً فى مواجـهة جزء جميل من الطبيعة يوحى بالجمال والسعادة، بالإضافة إلى أنه يقوم بعملية خلق متجددة لمجموعات من «الأصدقاء» من الزهـور المختلفة التى تتباين أشكالها وألوانها فى كل مرة يغير فيها الشخص وروده وأغصانه.

تشـترك كافـة المدارس فى عناصر رئيسـية مـشتركة تراعيهـا، وأهـمها دراسة اتجاهـات الأغصـان والأوراق والـزهـور، واختيار السيقان القـوية، ومراعاة توازن النباتات والزهـور طولاً وحـجماً، وكذلك العمل على ترتيب أوراق النبات بحيث تتجه ناحية الضوء، مع رفع الأوراق الذابلة أو التى بها عيوب لونية. يضاف إلى ذلك اختـيار «فازة» تتـلاءم مع الزهـور طولاً وحجمـاً ولوناً، مع التأكيد على أن «الإيكيبـانا» لاتقتصر على عـملية «رشق» الزهـور والأغصـان فى «الفازة»، بل هى عمليـة «خلق» ينتج عنها شـعور بأن الزهـور تحـيا وتنمو هـى والفازة التى تحويها كوحدة واحدة يربط بينهم إطار خفى من الجمال والرقة والتناغم.

ترى بعض المـدارس أن الفـروع الرئيسـيـة فى الفـازة ترمـز إلى السـمـاء والأرض والإنسـان، ولذلك يجب أن يراعى أن يتـوافـر فى كل فـرع وفـقـاً لمكانه العناصـر المطلـوبة من القـوة والطول والاتجـاه وسـرعـة النمـو. ورغم تعـدد المدارس الفنيـة فى اليـابان إلا أن المدرسـة «الحـرة» هى التى يتـزايـد أنصـارها،

وهى تترك للإنسان حرية اختيار مكونات «الإيكيبانا»، والفازة التى تحويها، ولكن تنصح بالاسترشاد بنقطة وهمية على يمين أو يسار التشكيل الفنى من أعلى، وأن تكون هذه النقطة هى التى تتجه إليها الأغصان والأوراق سواء من اليمين أو اليسار، وللتحكم فى إخراج الشكل النهائى يمكن ثنى الأغصان والأوراق برقة ومرونة لتأخذ الشكل المطلوب.

ينصح الخبراء الدارسين بعدم محاولة تقليد ما عمله الآخرون من تشكيلات «الإيكيبانا»، بل على كل واحد أن يتذوق الجمال فى كل ورقة وزهرة وغصن، وأن يكون جريئاً فى تكويناته ويجرب كل خامة يجدها فى متناول يده، مؤكدين أنه بالقطع، وبالنظرة المتفحصة سيكتشف الكثير من العناصر الجمالية التى تبهجه وتسعده عند استخدامها، وهذا هو سر نجاح المدارس الحرة لتعليم «الإيكيبانا» التى جعلت شعارها «إن الجمال موجود حولك فى كل شئ، فقط عليك أن تنظر بإمعان».

«مسرح الكابوكى»:

«الكابوكى» هو فن مسرحى يابانى له تقاليده العريقة التى مضى عليها حوالى ثلاثة قرون ونصف، ومازال هذا الفن مستمراً ومحافظاً على نفس قواعده تقريباً.

تظهر الابتسامة عادة على وجوه المصريين من هواة الأوبرا عندما يذكر أمامهم «مسرح الكابوكى»، ويرجع ذلك إلى أن اليابانيين شاءوا عند افتتاح «المركز الثقافى القومى» - دار الأوبرا - التى أقيمت بمنحة يابانية أن يقدموا فى حفل الافتتاح أعرق فن لديهم وهو «الكابوكى».

تتابعت فصول المسرحية والجمهور المصرى المثقف الذى اعتاد على الأوبرا الغربية لايفهم شيئاً، ولا يستسيغ هذا الغناء التقليدى الرتيب، وبعد الحفل

تبارى رسامو الكاريكاتير فى الصحف والمجلات فى انتقاد مسرح الكابوكى، بل تمادى البعض نتيجة لعدم التذوق إلى السخرية مرددين أن ممثل «الكابوكى» يصلح لإخافة الأطفال، ولكن الجميع - والحق يقال - أشادوا بمساهمة اليابان فى إقامة هذا الصرح الفنى.

يصعب حتى على اليابانى العادى فهم ما يقال على لسان الممثلين فى مسرح «الكابوكى»، فهم يستخدمون لغة عتيقة لاتفهمها الأجيال الحالية، ولذلك فإنه من المعتاد أن يوزع جهاز استقبال صغير لكل من يدخل المسرح ليستمع إلى ترجمة موجزة لما يجرى أمامه باللغة التى يجيدها، ومن ضمن لغات الترجمة اللغة اليابانية كما تستخدم فى الوقت الحالى، وذلك ليستعين بها اليابانيون على متابعة العرض.

تقوم فكرة أغلب المسرحيات على الحب ومتاعبه، والهجر والخيانة، وتوجد عدة مسرحيات بطلها لص شريف يساعد الفقراء والضعفاء ضد العتاة والحكام، ويواجه المشاكل ويضطر إلى قتل الكثيرين، ثم يموت فى النهاية «شهيداً» مع حزن وتأثر الشاهدين.

يتميز مسرح «الكابوكى» بستارته التقليدية التى لم تتغير منذ القدم، وتتكون من شرائح عريضة متعددة تتوالى فيها الألوان: الأسود، والوردى والأخضر، وأصبحت هذه الستارة جزءاً من رموز مسرح «الكابوكى». تفتح الستار وتتوالى فصول المسرحية، وأهم مايميزها الديكور المبهر، واللوحات الكبيرة الجميلة فى خلفية المسرح، بالإضافة إلى جمال الملابس التقليدية بألوانها الزاهية، وتستخدم آلة "Shamisen" فقط فى هذه المسرحيات، وهى آلة تشبه الجيتار ولكن أطول قليلاً، وتساندها دقات طبلة صغيرة. والعجيب فى مسرح الكابوكى أنه ممنوع على السيدات حتى الآن أداء أى دور على المسرح، وقد صدر قرار بذلك منذ عام ١٦٢٩ ومازال سارياً، ويقوم رجل يسمى "Oyama" بدور الفتاة أو السيدة، ويتنكر فى زى امرأة، ويلبس «باروكة»،

ويتزين بنفس أسلوب النساء، بل ويؤدى دوره بميوعة ورقة تفوق «أنوثة الممثلات».

ماتزال مشاهد الحب فى مسرح «الكابوكى» تخضع للقواعد القديمة، فمهما بلغت حرارة الحب بين الرجل والمرأة فأقصى مايحدث على المسرح أن يضع المحب يده على كتف محبوبته (يمثل دورها ممثل رجل)، أو أن يمسك كل منهما بيد الآخر وهما يتبادلان النظرة الطويلة المليئة بالعواطف.

ولايملك المتفرج الأجنبى المهذب إلا أن يجيب سائله عن رأيه فى مسرح الكابوكى بأنه ممتاز ولكنه لم يستمتع به لغرابته.

رياضة «السومو»:

رياضة «السومو» نوع غريب من المصارعة لايوجد إلا فى «اليابان»، ويطلق عليها «الرياضة القومية الإمبراطورية».

نشأت «السومو» كمظهر من المظاهر التقليدية لمذهب «الشنتو»، فقد كانت الاحتفالات بالأعياد الدينية تقام فى القرى والمدن حول المعابد، وللترفيه عن جماهير المحتفلين تقام مصارعة «السومو» بين المتنافسين، وتطورت هذه الرياضة ووضعت لها القواعد التى تحكمها، وأصبحت مبارياتها الكبرى تقام تحت رعاية الإمبراطور شخصياً، ويحضر حفلتها الأخيرة ـ الإمبراطور حامى حمى مذهب الشنتو ـ. تقام المباريات فى ملعب يكاد يتساوى مع ملعب كرة القدم إلا أنه يأخذ الشكل الدائرى، وفى وسطه تقام الحلقة على شكل دائرة، وتتكون أرضيتها من طبقات من القش المضغوط، ويبلغ قطرها حوالى ١٨ قدماً.

يتنافس على الفوز مصارعان يزيد وزن كل منهما عادة على المائة والثمانين كيلو جراماً، واللاعب عبارة عن كتلة ضخمة من اللحم والشحم

والعضلات. يحكم المباراة حكم للحلقة يرتدى ملابس خاصة تنتهى بما يشبه المعطف الذى يلتف حول وسطه حزام عريض، ويضع على رأسه غطاءً يابانياً يشبه القبعة المستطيلة. يجلس حول الحلقة خمسة حكام أحدهم يختص بالوقت، أما الآخرون فيلجأ إليهم حكم الحلقة إذا اختلط عليه الأمر ولم يستطع اتخاذ القرار لتحديد الفائز، أما إذا تعذر عليهم جميعاً تحديد الفائز؛ كما لو سقط اللاعبان فى نفس اللحظة، فهنا تظهر فائدة «التكنولوچيا».

فهناك مسئول يجلس فى إحدى الغرف الجانبية يشاهد بالتصوير البطىء ما سجلته الأجهزة لتفصيلات المباراة، ويخطر المحكمين لاسلكياً بالفائز بناء على الصورة التى أمامه على الشاشة ليعلنوها على الجماهير بعد لحظات.

يعتبر اليابانيون مباريات بطولة «السومو» عيداً قومياً يستمر خمسة عشر يوماً، وتستعد الجماهير لحضورها، وقضاء وقت ممتع، والاستمتاع فى ساحة اللعب بالمأكل والمشرب قبل المباريات وخلال الاستراحة.

ويشجع كل متفرج لاعباً معيناً، ويتعصب له، وتدور المناقشات بين الجميع بحماس يذكرنا بما نشاهده من خلافات الجماهير من مشجعى لاعبى كرة القدم فى مصر، وتعصبهم لناديهم أو لاعبهم المفضل.

يحضر الجمهور مبكراً يوم المباراة، وتدق الأجراس التقليدية فى الموعد المحدد، ويصعد حكم الحلقة إليها وهو يضرب قطعتين من الخشب ببعضهما مصدراً صوتاً رتيباً،و ويصعد خلفه المصارعون الذين سيتنافسون يومها وفقاً للجدول المعلن، ويتقدمهم أعلاهم مرتبة. يشكل المصارعون حول أقدمهم حلقة دائرية يقف فى مركزها وهو يرتدى رداءً من القماش يغطى الجزء الأسفل من جسمه فقط، ويتميز هذا الرداء بكمية وكثافة التطريز على القماش، ويتنافس المصارعون فى إبهار المشاهدين بهذا الرداء الجميل الصنع.

يبدأ البطل فى أداء بعض الحركات مبتدئاً بالتصفيق المتكرر بالكف ـ بعنف ـ وهو تقليد قديم يرجع إلى ديانة «الشنتو» وذلك بهدف إخطار «الآلهة»

«الكامى» بوجود المصارع والاستئذان فى بدأ الاحتفال. يتبع المصارع ذلك بمد ذراعيه للأمام مع فتح الكف لأعلى ليكون ذلك تأكيداً على أنه لايحمل سلاحاً، وأن المعركة ستكون نظيفة، ويقوم بعد ذلك «بالخبط» بكل من قدميه بعنف على أرض الحلقة، وذلك يعنى سحق كل شىء سىء أو مضر على الأرض، يكرر المصارع البطل هذه الحركات المبهرة، ثم تنزل المجموعة يقودها الحكم مرة أخرى خارج الحلقة.

ولرياضة «السومو» عدة قواعد «مقدسة» يحسن أن نعرضها قبل أن نبدأ فى شرح المباراة:

* حلقة المصارعة مكان مقدس يطهر برش المياه والملح قبل المباراة، ولا يجوز إلقاء أى شىء عليها، أو صعود شخص غير مختص ـ لاحتمال أنه لم يتطهر.

* ينحنى الحكم واللاعبون بشدة أمام الحلقة قبل دخولها، وعند انصرافهم منها.

* الملح عنصر أساسى فى هذه الرياضة، لطرد الأرواح الشريرة، وكوسيلة للتطهر.

* مدة المباراة أربع دقائق كحد أقصى، والفائز هو الذى يجبر خصمه على لمس أرض الحلقة بأى جزء من جسمه عدا قدميه، أو لمس الأرض خارج الحلقة بأى جزء من جسمه.

* يمنع فى المباراة الضرب بقبضة اليد، أو بجانب اليد أو جذب الشعر، ولا يجوز دفع الأصابع فى العينين، أو جذب الأذن، أو خنق الزور.

* يرتدى اللاعبان الرداء المخصص للمصارعة، وهو يتكون من قطعة طويلة وعريضة من القماش تلف مرات متعددة حول وسط اللاعب وبين فخذيه، ثم تربط فى النهاية فى وسطه بحيث تكون ثابتة ومتينة، مع ملاحظة

أنه يجوز للاعب الإمساك بالجزء الموجود حول الوسط، ويمنع تماماً الإمساك بالجزء الموجود بين الفخذين، ويجوز للحكم إيقاف المباراة ليعيد اللاعب إحكام وضع الحزام وإجادة تثبيته.

* تبدأ المباراة بصعود حكم الحلقة بملابسه التقليدية المزركشة، ويتبعه اللاعبان، ويتوجه كل منهما إلى ركن محدد فى الحلقة المستديرة. ينظر كل مصارع إلى غريمه فى الركن الآخر بتحد، ويبدأ فى رش الملح الموجود فى وعاء بجواره على الحلقة فى موجات دائرية، كنوع من الفأل الحسن، وطرداً للأرواح الشريرة، ويتبع ذلك بفرد ذراعيه إلى الجانبين وللأمام وكفه مفتوح لأعلى كناية عن نظافة اللعب وعدم حمل أسلحة، ثم يستعرض قوة عضلات أرجله بخبط كل قدم بعنف على أرضية الحلقة، وتستمر هذه الحركات التى تهدف إلى إلقاء الذعر فى نفس الخصم.

يعطى الحكم إشارة بداية المباراة، وهنا تتملك الدهشة الزائر الأجنبى، وهو يشاهد شخصين أشبه مايكونا بفيلين ضخمين وقد سارع كل منهما فى اتجاه الآخر ليختار أسلوب المعركة، فإما الاشتباك المباشر والتماسك، والإمساك بجزء من جسم الخصم أو بحزامه، ومحاولة إخلال توازنه والاستعانة بضربات القدمين فى ذلك، وكثيراً ما يفاجأ المشاهدون وقد نجح اللاعب فى احتضان خصمه ورفعه - فى حدود ١٨٠ كيلو جرام - ثم إلقائه أرضاً.

وقد يلجأ اللاعب إلى دفع خصمه بيديه دفعات قوية جداً وسريعة ومتكررة ومتلاحقة تربك الخصم وتفقده توازنه ليقع ويلمس الأرض بجزء من جسمه. تنتهى المباراة عادة قبل انتهاء مدة الأربع دقائق المحددة لزمن المباراة، ويقام فى اليوم الواحد خمس عشر مباراة متتابعة بفاصل زمنى للاستراحة. تقام عادة ست بطولات كبرى فى اليابان سنوياً ينال الفائز فيها بحصوله على أكبر مجموعة من النقط كأس الإمبراطور، وهو شرف عظيم، ويرقى نتيجة لمجموع

هذه المباريات المصارعون وفق «المراتب» التى يستحقونها وأعلاها هى رتبة «اليوكوزونا» "Yokozuna" أى البطل العظيم ولا يحصل عليها عادة إلا عدد محدود للغاية من المصارعين.

ويعتبر أبطال «السومو» فى اليابان نجوماً للمجتمع يتهافت عليهم المعجبون والمشجعون، وتتوالى عليهم الهدايا المادية والمعنوية، ويكونون مركز الاهتمام فى أى حفل يشاركون فيه.

الفصل التاسع

غرائب من اليابان

يشعر الزائر لليابان أنه يمر كل يوم بمعلومة جديدة وغريبة عليه وعلى الحضارة الغربية أو الشرقية التى عاشها، وكلما ازداد اقترابه من المجتمع اليابانى كلما أحس بجهله بالكثير، وسنعرض فيما يلى بعضاً من الصور التى ينفرد بها المجتمع اليابانى.

صيد السمك بواسطة البط:

نعلم جميعاً أن هناك أساليب متعددة لصيد السمك، قد تكون بالسنارة، أو بالشباك الصغيرة أو الكبيرة، أو بالبندقية والسهم، أما فى اليابان فيعرفون أسلوباً غريباً، وهو صيد السمك بواسطة البط.

اتبعت هذه الوسيلة فى اليابان منذ مايزيد على ألف عام فى نهر «ناجارا». وتبدأ العملية باصطياد نوع من البط يسمى «كورمورانت» "Cormorant" وهو حى ودون إصابته، ثم تدريبه على صيد السمك من القارب فى النهر، بحيث يتقن عملية الصيد رغم اهتزازات المركب فى الماء، ومضايقات الشعلة المتوهجة الموجودة فى مقدمة القارب.

تعيش البطة حوالى اثنا عشر عاماً، وتحتاج إلى صبر كبير من المدرب

ليستطيع السيطرة عليها حتى تتفهم واجباتها جيداً، وهنا تبدأ فى الصيد باستمتاع وجدية.

أسلوب الصيد:

خلال الموسم الذى يستمر من مايو إلى أكتوبر تخرج قوارب الصيد ليلاً كل يوم عدا الأيام التى يكتمل فيها القمر، ويكون عدد القوارب عادة ستة فقط، يحمل كل قارب رئيساً له ومساعد وشخصين للتجديف، ويثبت فى مقدمة القارب شعلة كبيرة مشتعلة لتعطى الضوء المطلوب.

تتهادى القوارب خلف بعضها فى النهر وقد وقف فى مقدمة كل منها رئيس المركب وهو ممسك بيده مجموعة من الحبال ينتهى كل منها ببطة واحدة، وعادة مايكون الفريق مكوناً من ١٢ بطة، ويحتاج الأمر إلى مهارة فائقة من «الريس» حتى لاتختلط الحبال مع كل مايقوم به البط من تحركات وصراخ.

توجد حلقة معدنية حول رقبة كل بطة، وهى كافية لتمنع البط من ابتلاع السمك الذى يصطاده، وبذلك تصبح المسافة بين المنقار والجزء من الرقبة المحاط بالحلقة مستودعاً لحفظ السمك الذى يصطاده.

عندما يلاحظ رئيس المركب أن البطة قد صادت الكمية التى تشغل هذا الحيز، ويكون عددها عادة بين ثلاث أو أربع سمكات متوسطة الحجم، وبمساعدة من «الريس» يُسقط البط السمك الذى اصطاده على أرض القارب، ويسرع فى سعادة واضحة إلى القفز مرة أخرى للمياه ليعاود الصيد، وخاصة بعد أن حظى بتشجيع صاحبه بالتربيت عليه مع الكثير من كلمات التشجيع.

والغريب أن البط ـ نتيجة للتدريب ـ يمارس عمله بكثير من النشاط، ويخيل للمشاهد أن هناك سباقاً تحاول فيه كل بطة اصطياد أكبر كمية ممكنة

من السمك فى أسرع وقت لتحظى بتشجيع مدربها «رئيس المركب».

بالإضافة إلى جائزتها عند انتهاء العرض، وغالباً ما تكون عدة سمكات من التى صيدت تكفيها لوجبة فاخرة.

من المناظر الطريفة التى يشاهدها المتفرجون فى قوارب «النزهة» المرافقة لحملة الصيد منظر البطة وقد صادت سمكة كبيرة ولكنها أمسكت بها من ذيلها أو وسطها، وتقوم البطة بحركات بهلوانية بإلقاء السمكة لأعلى فى الهواء لتتلقفها بحيث تدخل الرأس أولاً هذه المرة.

يزداد حماس البط بل وحماس المتفرجين، وكل مركب يصدر منه أصوات عالية بالدق على جداره لإثارة ذعر السمك ومحاولته الابتعاد وبذلك يقع فريسة سهلة للبط المتربص له، كل ذلك يختلط بصوت رئيس المركب وهو ينادى ويشجع بطاته بصوت منغم مرتفع. تنتهى الرحلةالغريبة بحصيلة طيبة من السمك الذى تم صيده بهذه الوسيلة الغريبة.

زراعة اللؤلؤ:

يطلق اليابانيون على حبات اللؤلؤ «دموع الشرق»، ويُنتج اللؤلؤ نتيجة دخول ذرة غريبة ـ رمل ـ إلى داخل المحارة فتؤلمها، وتقوم المحارة ـ لحماية نفسها ـ بعملية إفراز لمادة من الكالسيوم تحيط بهذا الجسم الغريب بحيث لا يؤدى احتكاكه إلى إصابة الأجزاء الداخلية الرخوة من المحارة، وتتعدد الطبقات حول الجسم الغريب حتى يتكون خلال عامين لؤلؤة طبيعية جميلة.

كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة للحصول على اللؤلؤ سواء من مياه اليابان أو أمريكا اللاتينية أو الخليج العربى الذى تخصص الكثيرون من رجاله منذ عشرات السنين فى الغوص للأعماق بدون أجهزة مساعدة وجمع المحارات من القاع، ثم فتحها على الشاطىء، وجمع مابها من لآلئ والإتجار فيها،

وكانت تجارة اللؤلؤ هى المصدر الرئيسى مع السمك للدخل فى بعض هذه المناطق قبل أن يظهر البترول.

استمر قاع المحيط والبحار هما المصدر الرئيسى للؤلؤ حتى تمكن اليابانى «ميكى موتو» عام ١٠٩٥ من محاكاة العملية التى تقوم بها الطبيعة، واستطاع بعد تجارب متعددة ومكلفة على أن يتغلب على الكثير من عقبات الفشل والإحباط، وتحكم فى أسلوب زراعة اللؤلؤ داخل المحارة.

تبدأ عملية زراعة اللؤلؤ بإعداد نواة حسب الحجم المطلوب، وتؤخذ النواة من الطبقة الداخلية الصلبة لإحدى المحارات الكبيرة. تفتح المحارة المطلوبة لزراعة اللؤلؤ بأسلوب وأدوات لا تختلف عما يجرى داخل غرف العمليات الجراحية، وتوضع النواة برقة فى مكان محدد من أغشية المحارة الحية، ويعاد إغلاق المحارة وتدلى ثانية فى الماء.

يختار المختصون المكان الملائم لمزرعة اللؤلؤ، ويشترط أن يكون فى مياه هادئة جارية، ولا يوجد بها تيارات مائية، وألا تكون معرضة للعواصف والأمواج الشديدة، وأن تكون درجة حرارة المياه فى حدود خمس وعشرين درجة مئوية، وقياس الماء يومياً عملية أساسية فى تربية اللؤلؤ، وبناء على درجة حرارة الماء ترفع السلال أو تخفض إلى مسافة أعمق. ومن الشروط الهامة فى المزرعة عدم وجود ما يضر بالبيئة كالزيوت أو الأحماض أو مخلفات السفن. فإذا تم اختيار الموقع فإن المحارات تجمع وتوضع كل كمية محددة فى سلال من السلك بحيث تتخللها المياه، وتدلى بحبل فى الماء، ويعلق الحبل فى عوارض من البوص أو البلاستيك لتثبيته فى مكانه، ويراعى رفع الأسبتة وتنظيف المحارات مرة كل شهر مما يعلق بها من أعشاب أو فطريات.

تشعر المحارة بعد إدخال النواة فى أغشيتها الرخوة بوجود الجسم الغريب الذى يضايقها فتبدأ حماية نفسها بإحاطة هذا الجسم بطبقات تنتجها من الكالسيوم لتعطيها الملمس الناعم، وتستمر المحارة فى تصنيع طبقات

الكالسيوم حول النواة، وتحتاج عادة إلى عام كامل لتكمل ألف طبقة حول النواة، ويحتاج اللؤلؤ العادى إلى حوالى سنتين ليتم تشكيله، أما اللؤلؤ الممتاز فيحتاج على الأقل لثلاث سنوات حتى يمكنه تكوين طبقة من الكالسيوم بسمك ١ مم على الأقل، ومن البديهى أنه كلما زاد عدد الطبقات التى أنتجتها المحارة كلمنا ازدادت صلابة اللؤلؤة وكلما تألق لونها، لأن لون اللؤلؤ هو نتيجة انعكاس الضوء على طبقات الكالسيوم المفرزة حول النواة بما فيها من مواد عضوية ملونة.

يلاحظ أن اللؤلؤ المنتتج بهذه الوسيلة لايفترق عن اللؤلؤ الطبيعى، رغم تدخل الإنسان فى النوع الأول، لأن المحارة هى التى تنتج فى الحالتين طبقات الكالسيوم التى تحيط بالنواة، وهذا يختلف عن اللؤلؤ الصناعى الذى تصنع الحبة منه بكاملها داخل المصنع من نوعيات معينة من اللدائن ـ البلاستيك.

تحمل المحارة داخلها عناصر الذكورة والأنوثة عند بداية نموها، وبعد عام يتحول البعض إلى محارات مذكرة والبعض الآخر إلى محارات مؤنثة، والمحارة الذكر تفرز مادة ذكرية، وتفرز الأنثى بويضات، وتلتقى المادتان فى البحر أو على الأعشاب، ويتم التلقيح وتنتج محارات صغيرة ترقد فى قاع المحيط، وتتغذى على الفطريات الموجودة فى الماء، وتكبر بعد عام، وتتكرر الدورة.

وينصح الخبراء المشترى بأن يراعى عند شراء اللؤلؤ التفتيش أولاً عن احتمال وجود عيب فى الحبات، ويفحص درجة تألق اللون، وكذلك مدى الاستدارة، ويأتى بعد ذلك فى المرتبة اختيار اللون المطلوب، أما اختيار الحجم. بعد توافر الشروط السابقة فيكون وفقاً للميزانية المتاحة للشراء.

ويشرح الخبراء أن لؤلؤ المياه العذبة يكون صغير الحجم وغير متساو وغير مستدير، أما اللؤلؤ كبير الحجم أو الذى على شكل نصف دائرة فذلك مرجعه إلى شكل وحجم النواة التى زرعت فى جسم المحارة لتنسج عليها طبقات الكالسيوم.

يحتاج اللؤلؤ إلى عناية خاصة نظراً لرقته، وللمحافظة عليه فإنه يجب أن يمسح كل فترة زمنية بقطعة قماش ناعمة مع استخدام قطرات قليلة من زيت الزيتون، وكذلك يراعى دائماً مسحه بعد خلعه لتخليصه من العرق الذى يؤثر على لمعانه، ويفضل عدم لبس اللؤلؤ فى المطابخ والحمامات لتأثره بالحرارة والبخار ومواد التنظيف الكيميائية المستخدمة، كما ينصح بتغيير الخيط الذى يمسك بالحبات «عقد ـ حلق ـ أسورة»، وذلك قبل قطعه وانفراطه، ويراعى فى أنواع اللؤلؤ الثمين أن يعقد الخيط بين كل حبتين، وذلك حتى لاتنفرط الحبات كلها لو قطع العقد أو الأسورة وماقد يترتب على ذلك من ضياع بعضها.

فتاة الجيشا "The Geisha":

عندما يتردد لفظ «فتاة الجيشا» اليابانية فى أى مجتمع مصرى، فإن رد الفعل الأول هو الابتسامة التى ترتسم على وجوه الرجال وكل منهم وقد سرح به الخاطر إلى رواية «مدام بترفلاى»، وتجرى المقارنات السرية فى خاطره وقد حلقت به تمنياته إلى حيث توجد «الجيشا» وتخيل نفسه ـ وفقاً لمعلوماته ـ موضع الرعاية والتدليل بل والتقديس.

ولرجالنا الأفاضل نقول إن العمل الأساسى «للجيشا» هو الترفيه البرىء والتسلية المرحة، أما صداقة «الجيشا» فهى مطلب عسير لا يقدر عليه إلا اليابانى شديد الثراء.

كلمة «الجيشا» تعنى تقريباً «الفنان»، وأطلقت منذ القدم حوالى عام ١٦٠٠م على الرجال الذين يقومون بالأعمال الكوميدية أو تقديم المقطوعات الموسيقية، ثم بدأ ظهور المرأة كجيشا عام ١٧٥١م، وما لبث عدد النساء أن زاد فى هذه المهنة. والأصل أن تقتصر مهنة «الجيشا» على الترفيه بالغناء والرقص اليابانى التقليدى، وتقديم المساعدات بالنسبة للطعام والشراب، إلا

أنه من حق فتاة الجيشا تقديم خدماتها الخاصة لمن يخصها برعايته، ويتولى الإنفاق عليها، وسداد مايطلب منه لبيت الجيشا.

جرى العرف على أن فتاة «الجيشا» لا تمارس الدعارة، ويطلق على الفتيات اللاتى يرتدين ملابس الجيشا ويقلدهن فى أسلوب الزينة وتصفيف الشعر ولكنهن يمارسن عملهن فى بيوت الليل والبارات دون التقيد بالتزامات فتاة الجيشا التقليدية، يطلق على هؤلاء المقلدات «جيشا المخدة» "Pillow Geisha".

إن فتيات الجيشا الحقيقيات يحتفظن دائماً بعلاقات وثيقة برجال السياسة وكبار رجال الأعمال، وكثيراً ما اختبأ عندهن رجال السياسة المطلوب اعتقالهم، واليوم فإن كل التجمعات السياسية ترتاد بصفة منتظمة بيوت الجيشا "Hanama-Chi"، ويقوم كل تجمع باختيار أحد منازل الجيشا كمكان آمن لاجتماعاته، حيث يجتمع السياسيون فى جو مريح، ويناقشون خططهم وأفكارهم بالنسبة لسياسة الحزب. تتميز الجيشا بالكتمان التام، والمحافظة على سرية كل ما تسمعه من مناقشات أو تصريحات، أو مفاوضات وقرارات رجال الأعمال.

كانت أفضل السنوات بالنسبة للجيشا وتقاليدها فى القرن التاسع عشر، حيث كانت فتاة الجيشا هى مصممة الأزياء لنفسها وكان الكيمونو الذى ترتديه يعتبر هو «النموذج» «للمودة» التى تسود المجتمع وتقلده السيدات الثريات، وكان ينظر وقتها للجيشا بتقليد وانبهار كما يتعامل البعض عندنا حالياً مع بطلات الأفلام السينمائية. تزايد عدد فتيات الجيشا فى أوائل القرن العشرين، ولكن منذ الثلاثينات طغت عليهن فى العمل فتيات البارات.

لجأت الجيشا الأصيلة فى سبيل الاحتفاظ بتقاليدها «ورسالتها» الاجتماعية المتميزة إلى التخلى عن التمسك بفكرة الإبهار بالكيمونو المغالى فى روعته، والتمسك بالقواعد التقليدية الصعبة واكتساب المهارات فى الفنون والموسيقى، والإطلاع الثقافى ضماناً لحسن المجالسة.

عرف القرن التاسع عشر الفتيات الصغيرات وقد باعهن الأهل ـ نتيجة الفقر ـ إلى بيوت الجيشا. كان من الطبيعى ألا تتمكن الفتاة أو تُمكن من ادخار مبلغ يعادل ما دفع لأهلها حتى تستطيع تحرير نفسها. أما اليوم، فإن الفتاة هى التى تدخل عالم الجيشا باختيارها حيث يجتذبها الأمل فى تحقيق أحد أمانيها وهو ممارسة أحد الفنون التى تحبها من غناء ورقص أو عزّف على آلة "Shamisen" ، كل ذلك فى إطار من البذخ والوفرة، وقد اعتبرت آلة «الشاميسين» رمزاً لفتاة الجيشا، وهى آلة وترية تشبه الجيتار ولها ثلاثة أوتار.

إن اختيار مهنة الجيشا يعنى غالباً اختيار طريق عدم الزواج، ولذلك يرفض أغلب الآباء الموافقة برغبتهم على اختيار ابنتهم العمل كجيشا، وتكون الجيشا عادة فتاة عندها الروح الاستقلالية، والطموح وموهوبة، وواثقة من نفسها، كما أنها بطبيعتها تشعر بالألفة والمودة فى تعاملها مع الرجال، وكل هذه العناصر لاتجد المجال الكافى فى الزواج اليابانى التقليدى.

ومهمة الجيشا الرئيسية أن تقوم بالمساعدة وتقديم الخدمات أثناء الحفلات، ومن المهم جداً أسلوب تعامها مع الرجال، وسهولة تبادل الأحاديث وذلك عملة نادرة فى المجتمع اليابانى حيث ينفصل عالم الرجال عن عالم النساء. من المعتاد فى الغرب أن الزوجة تصاحب زوجها للحفلات الاجتماعية التى يحضرها، والتى تتعلق بعمله، أما فى اليابان فإن فتاة الجيشا ـ عادة ـ هى التى تقوم بهذه المهمة بدلاً من الزوجة، وتصطحب الرجل للحفلات أو السهرات. وفتيات الجيشا من المستوى الراقى يكسبن مبالغ كبيرة تفوق مايحصل عليه كبار الموظفين كأجر شهرى، ورغم هذا الدخل المرتفع إلا أن قلة منهن فقط، هن اللاتى يستطعن الادخار، لأن أسلوب المعيشة والتعود على البذخ لايترك مدخرات لهن. تراعى «الجيشا» المحافظة على مظهرها ومستواها وتواظب على شراء مجموعات غالية من الكيمونو والملابس والملحقات.

تفضل الجيشا الاستمرار فى هذه الحياة «الرغدة» مع تأمينها للمستقبل،

ولذلك تختار صديقاً واحداً هو الذى يتحمل كافة مطالبها المادية، مقابل أن تكون خدماتها الخاصة له وحده، وفى بعض الأحيان تنجح الجيشا فى زواج صديقها، أو معجب آخر مستعد لتحمل الأعباء المالية الباهظة فى سبيل الاستئثار بها.

مرت على مهنة الجيشا تغيرات عديدة، ففى أوائل القرن العشرين كانت الفتيات يدخلن بيت الجيشا فى سن العاشرة ليبدأن تدريبهن، وتبدأ المرحلة الأولى من التدريب بالخطوة الأولى وخلالها تتعلم الفتاة المهنة بمراقبة الجيشا الأقدم منها وهى تعمل وتقدم لها المساعدات الخدمية فقط. يبدأ التدريب الجدى فى سن الرابعة عشر، بدراسة فنون الجيشا من رقص وغناء وعزف على آلة «شاميسن»، وتستمر هذه الفترة من التدريب مدة كافية حتى تصبح الفتاة «جيشا مستعدة». وتملك بيت الجيشا وتديره واحدة من قدامى الجيشا ممن اجتمعت لها الخبرة والشخصية القوية ورأس المال، وتسمى «ماما ـ سن» "Mama San" أى «السيدة الأم».

تختلف التقاليد بالنسبة للجيشا فى كل من طوكيو وكيوتو. تعيش الفتاة الجيشا فى كيوتو داخل منزل الجيشا الذى يقع قريباً من مجال تواجد المطاعم وقاعات الاحتفالات، ومشارب الشاى التقليدية. أما فى طوكيو، فإنه بعد البقاء فترة معقولة فى بيت الجيشا ـ الذى تتبعه ـ تنتقل إلى شقتها الخاصة.

يتم الاستعانة بخدمات الجيشا عن طريق الاتصال بـ«ماما ـ سن» التى تقرر عدد الفتيات اللاتى ستوفدهن وتخصص كل منهم (رقص ـ غناء ـ حديث وفقاً للغة المطلوبة)، وتتفق على الأجر، وتقوم هى بالإشراف على حسن المظهر والاستعداد قبل توجه الفتيات للحفل.

تقام الحفلات التى تحتاج إلى مساعدة «الجيشا» على شكل مائدة مستطيلة أو على شكل حرف "U" بحيث يتاح لفتاة الجيشا حرية الحركة لينال كل ضيف حظه من التكريم والاهتمام والمشاركة فى بعض الألعاب الخفيفة. والقاعدة الهامة أن ضيف الشرف لايترك وحده أبداً، فلابد أن يكون محل اهتمام دائم تتناوب عليه فتيات الجيشا لخدمته.

إن الجيشا بالكيمونو الجميل، وتسريحة شعرها التقليدية، وطلاء شفتيها الأحمر التقليدى ولون بشرتها المغطى بالبودرة البيضاء، ورقتها الناعمة وأسلوبها المدروس لإشعار الرجل بأهميته وسيادته، كل ذلك يجعل من عالم الجيشا، واحة جميلة وهادئة بعيدة عن العالم الواقعى الذى يعيشه الرجل يومياً، ولذلك يهرب كبار المسئولين من ضغوط الحياة إلى حيث الراحة والسكينة والمتعة والمرح.

«الكيمونــو»:

«الكيمونو» هو الرداء التقليدى للفتاة اليابانية، وهو فى ألوانه الزاهية، وإحاطته بالجسم يضيف عنصرى الجمال والرشاقة لمن تلبسه. وصل «الكيمونو» إلى اليابان من الصين عن طريق كوريا، ولكن اليابانيين كعادتهم قد طوروه وطبعوه بالطابع اليابانى الخاص مما أبرز جماله ورشاقته، وموطن الجمال فى هذا الرداء يكمن فى نوع القماش والتطريز واللون بالإضافة إلى حسن اختيار كل ملحقات الكيمونو من شراب ذى إصبعين، وقمصان وأحزمة ملونة و«مخدات»، وشنطة يد، ومروحة وصندل مزركش.

يلبس «الكيمونو» بألوانه المبهجة فى الأفراح وفى الأعياد القومية، وزيارة المعابد، وهو غالى الثمن وعادة ماتورثه الأم لابنتها مع الحزام الثمين الجميل المخصص له ويدعى "Obi"، يستخدم حالياً نوع مبسط من الكيمونو للحياة اليومية، وذلك مراعاة للظروف الاقتصادية الحالية، وهو يتميز بالألوان، ولكن نوع القماش هو الذى تطور ليساير صناعة الأقمشة الحديثة وصباغتها وسهولة غسلها وغالباً ما يصنع من القطن.

يختلف ثمن «الكيمونو» وفقاً للمادة التى صنع منها ـ حرير أو قطن ـ ومدى وكمية العمل اليدوى ـ التطريز ـ الذى بذل فيه، ودقة وجمال الرسوم

التى تزينه. يصر اليابانيون على أن لكل فصل من فصول السنة نوع معين من «الكيمونو»، وكذلك لكل مناسبة ما يليق بها، ففى الأفراح تلبس النوعيات غالية الثمن التى بها الكثير من المشغولات مع قماش من الحرير، وملحقات للكيمونو على نفس المستوى الراقى، ويشترط أن تكون ألوانها جميعاً مبهرة، أما فى مناسبات الحزن فيكون «الكيمونو» للسيدات كبار السن ذا لون أسود وبه نقوش داكنة، أما الأخريات فيرتدين كيمونو ذا ألوان داكنة

يوجد للرجال أيضاً نوعان من الكيمونو، أحدهما للمناسبات الرسمية كالزواج أو الأعياد القومية، يتكون من جزء سفلى يشبه الجونلة المتسعة، يعلوه «جاكت» واسعة تلتف حول الجسم وهى طويلة نسبياً، أما فى الحياة العادية وداخل المنزل، فيرتدى الرجل «يوكاتا»، أى «كيمونو» يشبه الروب المنزلى الخفيف، ومصنوع من القطن، ويتميز بالبساطة والخفة التى تتيح للابسه سهولة الحركة، والراحة التامة.

أما أسلوب ارتداء السيدات للكيمونو وملحقاته فهذا فن يحتاج لدروس عملية من متخصصات وذلك حتى بالنسبة للفتيات اليابانيات، ووفقاً لأحد المراجع فإن لبس «الكيمونو» وملحقاته يحتاج إلى ٣٢ خطوة ويبلغ عدد «الملحقات» ١٤ قطعة ترتدى تحت وفوق الكيمونو، بالإضافة إلى الكماليات (شنطة و.....) «لزوم» الأناقة.

والغريب أن الفتاة اليابانية تفضل حالياً ارتداء الملابس الغربية كالفستان أو بنطلون «الجينز»، ولكنها ما أن تبلغ ٢١ عاماً حتى يقودها الحنين وقوة التقاليد إلى العودة لارتداء «الكيمونو» لتذهب به إلى المعبد وإلى الاحتفالات، ونندهش نحن الذين يعيشون فى اليابان، ونحن نرى نفس الفتاة اليابانية التى شاهدناها فى الصباح وهى تسير بخطوات أقرب للجرى منها للمشى، نراها هى نفسها فى المساء فى الاحتفال، وقد ارتدت «الكيمونو» ذى الألوان الرائعة، وقد التف تماماً على جسمها «النحيل»، وتضع فى قدميها حذاءً يابانياً من

القماش، وتسير بخطوات نشطة سريعة ولكنها قصيرة للغاية وتضع وهى تمشى كل قدم أمام الأخرى بطريقة تجعلك تحار هل هذه اليابانية «الأصيلة» هى نفس الفتاة «المتأمركة» التى شاهدتها فى الصباح؟ ولعل فى الإجابة على هذا السؤال ما يشرح سبباً من أسباب تفوق اليابان ألا وهو الجمع فى تناسق وإجادة بين الحديث ـ الفستان ـ وبين التقليدى ـ الكيمونو ـ بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.

الفصل العاشر

اليابان ومشاكل المستقبل

يتساءل العالم اليوم وهو ينظر بانبهار وغيرة للتفوق اليابانى وقد حقق الميزان التجارى فارقا ضخما لصالح اليابان مع جميع الدول هل سيستمر هذا المعدل اليابانى فى التفوق والتقدم الصناعى والاقتصادى إلى مالانهاية؟

وهل سيستمر الفرد اليابانى فى أدائه لعمله بهذه الجدية وهذا العطاء المعروف عنه والذى أدى إلى وصفه «بمدمن العمل» "Workahalic"؟.

يشك الباحثون فى إمكانية ثبات العناصر التقليدية التى سيطرت على المجتمع اليابانى وتحكمت فى حركته حتى الأن، ويرون أنه نتيجة لعالمية وسائل الاتصال المسموعة والمرئية حاليا، وتأثيراتها التى لاتقاوم فلا مفر من أن تظهر كل السلبيات المكبوتة، وأن تبدأ عوامل الضعف فى إحداث أثرها فى المجتمع وأهدافه.

عنصر التجانس ووحدة الهوية:

أدى عزل اليابانيين داخل جزرهم بعيدا عن أى تأثير أجنبى لمدة تزيد على مائتى عام إلى وجود مجتمع يتميز بوحدة الجنس، ووحدة الثقافة والتقاليد، مع شعور قوى بالهوية القومية المتميزة، وروح جماعية فى مواجهة الزلازل وغضب الطبيعة المتكرر، بل فى مواجهة «الغير» أيضا.

لايزال اليابانيون حتى اليوم يحسون فى أعماقهم أن الشعوب تنقسم إلى قسمين «نحن» بما تحمله من تأكيد للذات وللشخصية اليابانية بكل موروثاتها، «وهم» أى الأجانب مهما قرب موقعهم الجغرافى، أو تشابهت الخصائص الشكلية كالصين وكوريا.

ولكن نظرا لأن العالم حاليا قد أصبح «قرية صغيرة» تتأثر شعوبه بما يحدث فى أى منطقة، وتنقل الأقمار الصناعية إلى الجميع عوامل الغزو الحضارى والثقافى والترفيهى، فقد ظهرت فى اليابان أخيرا مشكلة المواءمة بين الأصالة والمعاصرة بشكل حاد، وذلك تجنبا لحدوث صدامات غير مطلوبة بين التقاليد الموروثة، والمفاهيم والأفكار والقيم ونماذج السلوك الجديدة الوافدة.

بدأ المجتمع اليابانى الحالى يراجع مقدساته ويحدد علاقته بمؤسساته، وبتراثه وماضيه، ويبحث عما يستبقى منه من عناصر تعبر عن هوية هذا المجتمع، وتحفظ له تفرده وثقافته الوطنية، وتمنح مقومات وجوده القومى الاستمرارية والبقاء. لجأ المجتمع فى نفس الوقت وبناء على ضرورات التغيير الملحة إلى دراسة النماذج الجديدة الوافدة للقيم والمعارف والتكنولوجيا ليختار منها مايجعله يندرج تحت وصف «المجتمع المعاصر».

يحاول المجتمع حاليا التوفيق - دون صدام - بين الأصالة والمعاصرة بخلق الصيغ التوفيقية الجديدة التى يقبلها المجتمع، والتى يستطيع جيلّ المجتمع الصناعى الحديث الذى يعيش عصر التكنولوجيا المتقدمة التحرك فى سهولة ويسر عبر الخطوط الفاصلة بين الطبقات والمراتب الاجتماعية، مع مرونة كافية لتقبل العادات التقليدية القديمة «المعدلة».

مشاكل الأقليات:

تعيش فى اليابان جالية كبيرة من أصل كورى وصل أجدادهم للجزر

اليابانية منذ مدة طويلة، ويرفض اليابانيون قبول الجيل الثالث الحالى فى المجتمع اليابانى. وتصدر الحكومة اليابانية كل فترة قوانين ولوائح جديدة تزيد من عزلة هذه الأقلية الكورية رغم أنهم لايعرفون لهم موطنا إلا اليابان.

ترتب على هذا الرفض الاجتماعى تكرر المحاولات الجماعية لكسر حاجز التفرقة العنصرية، وكثيرا ما حدثت إشتباكات هددت الهدوء والأمن فى اليابان، وتعتبر هذه المشكلة التى ترفض السلطات اليابانية حلها بالسماح بدمجهم فى المجتمع قنبلة زمنية قابلة للانفجار فى أى وقت.

- تعانى اليابان من مشكلة أخرى «غريبة» وهى مشكلة المنبوذين. إنهم أحفاد المنبوذين اليابانيين منذ عهد الإقطاع ويعرفون باسم «البوراكومين». "Burakumin" تشكل هذه الطائفة حوالى ٢٪ من السكان، وهى تضم مجموعة من الأفراد يشتغلون أو يشتغل أهلهم بالصناعات الجلدية أو الجزارة، ونظرا لأن الديانة البوذية تحرم ذبح الحيوان، فإن المجتمع اليابانى منذ القدم ينظر لهذه الفئة وأولادها وأحفادها باحتقار وترفع رغم حقهم فى المساواة التى نص عليها الدستور.

يحتقر المجتمع اليابانى هذه الفئة بتعصب أعمى رغم أنها لا تفترق عن باقى أفراد المجتمع فى المظهر أو السلوك أو الثقافة، بل قد يكون الشخص غير ممارس لأى مهنة من «الممنوعات»، ولكن يكفى لعزله أنه من نسل المنبوذين، وتحرص الأسرة اليابانية على الكشف عن شجرة العائلة بالنسبة لمن يتقدم لمصاهرتها خشية أن يكون من أصول ترجع لهذه الطائفة.

المرونة فى الالتزام بالتقاليد:

بدأ المجتمع اليابانى يخفف من التزامه الصارم ببعض القواعد التقليدية، وقد لاحظ علماء الاجتماع أن اليابانيين حاليا قد أصبحوا لاينحنون للتحية

بالمعدل الذى كان سائدا من قبل، فمنذ عشر سنوات أحصى أحد المديرين عدد المرات التى انحنى فيها للتحية خلال ساعات العمل ووجد أنها حوالى ١٨٢ مرة، أما فتاة المصعد فكانت تنحنى فى اليوم الواحد حوالى ألف مرة لتحيى كل من دخل أو خرج من المصعد.

وتلاحظ أن حركة الانحناءة نفسها قد أصبحت تتم بزاوية أقل من المعدل التقليدى، وكذلك قل عدد مرات الانحناء لتحية الشخص الآخر عن ذى قبل، وينظر الجيل القديم بتحسر لهذا الأداء السئ، ويعتبره من مظاهر الانحلال.

المجتمع اليابانى يشيخ بسرعة:

عاش الجيل اليابانى القديم فترة الحرب، وذاق مرارة الهزيمة والفقر والجوع، وكانت وسيلته الوحيدة هى العمل الشاق بهدف البقاء أولا ثم بعد ذلك بناء الدولة التى دمرت.

أما الجيل الجديد، فقد ولد بعد حدوث النمو الاقتصادى لليابان عام ١٩٦٠، ولم يعايش أفراده ألم المعاناة، ولم يشعروا بالجوع والفزع، واعتبروا أن هذا النعيم من المسلمات، ولذلك أصبح جيلا مستهلكا أكثر منه منتجا.

ونتيجة للتطور الاجتماعى والاقتصادى بدأ نظام العائلة الكبيرة يواجه برغبات الشباب فى الاستقلال بالمسكن، وانتشرت حاليا العائلة ذات الخلية الواحدة، وبدأت تظهر مشاكل كبار السن والحاجة الماسة لعدد كاف من منازل إيوائهم، رغم مايتبع ذلك من حرمانهم من رعاية الأسرة والتمتع بالحنان ومشاعر الحب الدافئة.

ويقرر علماء الاجتماع أن المجتمع اليابانى يشيخ ويكبر بسرعة وذلك نظرا لتزايد نسبة كبار السن الذين على قيد الحياة، ويبلغ نسبة عمر المرأة حوالى ٨٠ عاما، وللرجل ٧٤ عاما، وتقول الإحصاءات أنه فى عام ٢٠٠٠ سيكون

١٦٪ من السكان فوق سن الخامسة والستين، بعد أن كانت نسبتهم ٩٪ فقط عام ١٩٨٠، ويشرحون ذلك قائلين أنه بدلا من الشكل الهرمى الذى تكون قاعدته من صغار السن ويتصاعد حتى تكون قمته «المحدودة» من الشيوخ، فإن الأمر سيتطور ليأخذ شكل «أنبرميل» قاعدته من صغار السن، وقمته من كبار السن، والأثنان متساويان فى النسبة والعدد تقريبا مما يشكل خطورة اجتماعية واقتصادية.

الشباب ومشاكله:

شاهد الشباب اليابانى أفلام السينما الغربية، وما تعرضه محطات التليفزيون المتعددة، وانتشرت محلات «الهاه بيرجر والبتزا والأيس كريم والاسباكتى»، ويمكن إضافة انتشار المخدرات وحبوب الهلوسة فى نطاق محدود.

نتيجة لهذه التأثيرات الوافدة، يحاول الشباب اليوم الخروج من سيطرة الأب والأم بل وسيطرة المجتمع. لعل من أهم التغيرات الجوهرية التى غيرت كثيرا من الطبيعة الداخلية للفرد اليابانى، أنه رغم إيمانه حتى الآن بقواعد البوذية والشنتو إلا أن قيامه بالمراسم المطلوبة منه قد أصبح يتسم بالتراخى وبعض الإهمال، وساعد على الابتعاد عن هذه التعاليم التقليدية أن الجيل الجديد الذى نشأ بعد الاحتلال الأمريكى، وعاصر تغيير الدستور بعد الحرب لم يعد ـ وفقا للدستور ـ ينظر للإمبراطور كإله سليل لآلهة الشمس المشرقة، بل كإنسان عادى يراه، ويظهر على شاشات التليفزيون، ويتحدث إلى شعبه وضيوفه ولايملك سلطة «علوية» أو دنيوية، بلْ هُو إنسان ورمز فقط لوحدة الأمة. ونشأ نتيجة الوضع الجديد حالة من الفراغ الروحى والضياع النفسى.

نجح اليابانى فى تحقيق التفوق الصناعى والاقتصادى عالميا، وبدأ يشعر بالاسترخاء بعد نجاحه فى تحقيقه الانتصار الذى فشل فى تحقيقه

بالعسكرية اليابانية فى الحرب، ولكنه حققه حاليا بسلاح «الين» العملة اليابانية. يحس الفرد اليابانى اليوم أن من حقه أن يستمتع بنتائج كفاحه وكفاح آبائه وخاصة بعد أن إنهار الاتحاد السوفيتى، ونظريته «الشيوعية» والتى كانت تشكل خطرا مؤكدا يهدد اليابان من الشمال.

وبدأت المطالبات بتحسين الأحوال الاجتماعية للفرد اليابانى وتمكينه من الحصول على مسكن معقول بدلا من المسكن الحالى الذى يطلق عليه الأوربيون «جحر الأرانب»، بل لاحظ الخبراء أن اليابانيين قد بدءوا فى استخدام حقوقهم كاملة بالنسبة للأجازات، وكان من المعتاد أن يكتفى الفرد بعدة أيام للراحة وينهى أجازته ليعود لعمله.

احتجاج الشباب:

تحاول بعض قطاعات الشباب الثورة على أسلوب معيشتهم وتقاليدهم الصارمة، ولعل من أظرف مظاهر الاحتجاج على الحياة اليابانية الحالية بما تحويه من تمسك بالقيم والتقاليد القديمة هو مايحدث فى حديقة «يويوجى» "Yoyogi Park" فى قلب العاصمة طوكيو.

يتجمع الشباب صباح كل أحد ـ الفتيات والشبان ـ ويقوم رجال الشرطة بإغلاق الطرق بالنسبة للسيارات داخل وحول الحديقة، بحيث تصبح مساحة كبيرة يقام فيها مهرجان تلقائى راقص. تتكون كل مجموعة من حوالى الثلاثين فردا ـ ذكورا وإناثا ـ وتجتمع فى مكان واحد بالحديقة، وسرعان ما تختفى الملابس المعتادة، ويظهر الشبان وقد ارتدوا البنطلونات الجلدية الضيقة، وتغيرت تسريحة الشعر ليصبح الجميع نسخة يابانية متكررة من النجم الأمريكى الراحل «الفيس بريسلى»، أما الفتيات فقد ارتدين زى الخمسينات.

يلتف الجميع حول «كاسيت» ضخم يذيع أغانى وموسيقى معبودهم

المطرب الراحل بصوت مرتفع للغاية، وهم يرقصون فى طرب بحركات عصبية لا تهدأ، وتتبارى المجموعات الكثيرة المنتشرة فى المكان فى الرقص، وفى تقليد أحبائهم من المطربين الأمريكيين الذين عاشوا فى فترة الخمسينات. ويعتبر هذا المهرجان الأسبوعى فرصة للجماهير اليابانية للاستمتاع ومشاهدة نوع غريب من الموسيقى والرقص الأجنبى. ويمتلئ المكان بالسياح الذى يحضرون لمشاهدة الوجه الآخر للشباب اليابانى وقد «انفلت» من إسار تجهمه وجديته وانطلق يعبث ويلهو كزميله الأمريكى.

وهناك حقيقة تقال، وهى أنه رغم هذا التنافس فى الرقص والغناء، ووجود مجموعات عديدة من الشباب من الجنسين فإنه لايقع أى احتكاك أو مشاجرات بين الجماعات الموجودة، فكل منهم يستمتع دون مضايقة الاخرين، وبذلك لم نسمع عن حوادث يكون العامل الحاسم فيها «القبضة الحديدية» أو مطواه «قرن العزال»، فرغم الانفلات الموسيقى الراقص إلا أن القاعدة التى تراعى هى عدم تجاوز «الخط الأحمر» فى السلوكيات والوصول إلى مرحلة «العيب».

إحباط الشباب المتعلم:

حدث فى اليابان توسع كبير فى استخدام الكمبيوتر والروبوت فى الصناعات اليابانية، وكذلك تم تطبيق مبدأ التخلص من الصناعات التى تحتاج إلى أيدى عاملة، والتركيز على الصناعات التى تعتمد على التكنولوجيا المتقدمة، وأدى ذلك إلى ظهور عامل خطير، وهو أن مجموعة كبيرة من الشباب الذى يحمل مؤهلات أعلى من الوظائف المعروضة فى سوق العمل قد أصبح يعانى من البطالة، وتبع ذلك الكثير من مشاعر الاحباط والرغبة فى الثورة على المجتمع بما يحمله ذلك من عوامل قد تؤدى فى المدى القريب إلى قلاقل اجتماعية.

مخاطر محاولة الحصول على دور سياسى عالمي:

يحاول اليابانيون اليوم أن يجدوا لبلدهم مكانا متميزا فى السياسة الدولية يعادل قوتهم الاقتصادية، فبدءوا يطالبون بمقعد دائم فى مجلس الأمن، وركز اليابانيون أيضا على الظهور بمظهر إيجابى بالنسبة للسلام العالمى بالاشتراك فى قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة.

واجه هذا القرار معارضة عنيفة فى المجتمع والبرلمان اليابانيين، ولذلك يقتصر اشتراك اليابان حتى الآن على تقديم خدمات المواصلات أو البعثات الطبية أو المهام البعيدة عن مخاطر الحروب المحلية، وذلك لأن أغلب المواطنين اليابانيين مايزالون حتى الآن ضد فكرة تعريض أبنائهم لخطر الحرب والموت بعد ماعانوه فى الحرب العالمية الثانية من هزيمة وموت ودمار جعلهم يرددون شعارهم القائل: «لن يتكرر ذلك»"Never again" .

ويردد معارضو سياسة الحصول على مركز سياسى متميز لليابان قولهم بأن ذلك سيدفع باليابان إلى مستنقع السياسة العالمية حيث لا تستطيع اليابان التحكم فى عناصر الأزمة وتطوراتها المحتملة، وما يستتبع ذلك من نفقات وضحايا بشرية، ومواقف سياسية تحتاج إلى الحسم واتخاذ القرار، وما ينتج عن ذلك من خصومات وصدامات وعداوات تجد اليابان أنها تشكل ثمنا باهظا بالنسبة للهدف المراد تحقيقه.

ظهرت أخيرا بعض الأصوات اليابانية تنادى بأن يكون لليابان وجود سياسى فعال فى آسيا، وخاصة بعد تفكك الاتحاد السوفيتى، وضعف دويلاته الجديدة وثبوت فشل النظرية الشيوعية التى كانت تمثل تهديدا للأمن القومى اليابانى سواء من الشمال أو من الغرب (الصين). يقترح أصحاب هذا الرأى أن يستخدم هذا النفوذ السياسى لخدمة الاقتصاد اليابانى المتفوق. يرد المعارضون بأن اليابان تضع خططها الاستراتيجية بالتنسيق مع الغرب عادة، وتعتبر نفسها أقرب إلى الدول الغربية منها للاسيوية، ولذلك لاتتبنى اليابان حتى الآن شعار «آسيا للآسيويين»، ولا تدخله فى خططها المستقبلية.

يردد الآسيويون بدورهم أن جزر اليابان تقع فى آسيا، ولكن اليابان لا تعتبر جزءا من القارة الآسيوية، ولا تدافع عن مصالحهم فى أى تجمع دولى، ولذلك فهم يقاومون أى انتشار سياسى لليابان فى بلادهم.

يتضح لنا أن محاولة حصول اليابان مستقبلا على دور سياسى لها سواء عالميا أو آسيويا هو مشروع يحمل فى طياته الكثير من المخاطر سياسيا واقتصاديا وعسكريا.

مخاطر تنامى القوة العسكرية اليابانية:

تتصاعد فى اليابان أصوات شابة تنادى بأن القوة الاقتصادية لابد وأن تصاحبها قدرات عسكرية «وأن على جيرانهم أعداء الأمس ـ الصين وكوريا وروسيا ـ أن يتعودوا على ذلك»، إلا أن كافة الدول التى سبق لليابان احتلالها قد مارس الجيش اليابانى فيها عمليات إبادة جماعية، ولذلك فإنها مازالت تشعر بالهلع كلما ارتفع صوت من اليابان ينادى بإعلان التسلح، وإلغاء شرط تحديد الحد الأقصى للانفاق العسكرى ـ ١٪ من مجمل الدخل القومى.

يردد اليابانيون المعارضون لزيادة القوة العسكرية أن اليابان لاتحتاج لذلك حاليا، وخاصة بعد زوال خطر الاتحاد السوفيتى، ولكن الأمل مايزال يراود الكثيرين فى إعادة إحياء العسكرية اليابانية بانضباطها وتقاليدها ـ تقاليد الساموراى ـ رغم ما يكتنف ذلك من خطورة مستقبلية، فقد كان العسكريون هم المتحكمون فى مقاليد البلاد قبل وخلال فترة الحرب العالمية الثانية، وأدى طموحهم غير المحدود وتصلبهم إلى الهزيمة والدمار، ويخشى عقلاء اليابانيين أن يكرر التاريخ نفسه لو ترك الأمر لنمو العسكرية.

المشاكل الاقتصادية:

تتفوق الصناعات اليابانية، وتغزو أسواق العالم ولكنها تواجه بحملة

شديدة من الكراهية والبغض وذلك نتيجة تأثيرها على المجتمع الصناعى، حيث تغلق المصانع لعدم قدرتها على المنافسة وتتعطل العمالة المحلية وتنضم إلى الطابور الطويل من ضحايا البطالة، لذلك أطلق بعض الغربيين على اليابان اصطلاح «الوحش الاقتصادى» "The Japanese Monester" .

بدأت كثير من الدول فى مقاومة هذا الغزو الصناعى الاقتصادى باتخاذ إجراءات حمائية مباشرة أو غير مباشرة، وتحاول اليابان تفادى هذه المصادمات الاقتصادية بانشاء مشروعات مشتركة مع الدول يستخدم فيها عمالة محلية مع إدارة يابانية لإنتاج «منتج محلى» له المواصفات والاسم اليابانى.

لم تفلح هذه الوسيلة فى القضاء على موجة الرفض لهذا التسرب اليابانى للأسواق، وتعددت المواجهات الاقتصادية ولعل خير مثل لذلك هو المفاوضات الاقتصادية الأمريكية التى بدأت منذ سنوات، ولم تصل إلى نتيجة بعد مما أدى إلى تهديد أمريكى صريح باتخاذ سياسات حمائية ضد المنتجات اليابانية ما لم تفتح اليابان أسواقها أمام المنتجات الأمريكية، مع تحديد نسبة السيارات اليابانية المصدرة لأمريكا والتى أدى انتشارها إلى كساد مبيعات السيارات الأمريكية.

إن تصاعد مقاومة الدول للصناعات اليابانية المصدرة لهم سيؤدى إلى مشكلة مستحكمة فى المستقبل نظرا لأن الاقتصاد اليابانى يقوم على مبدأ «الصناعة للتصدير» وليس للبيع محليا داخل اليابان.

مشاكل الدولة الغنية:

تفوقت اليابان صناعيا واقتصاديا، وأصبح «الين» اليابانى «والمارك» هما سادة أسواق النقد العالمية، وتقهقر الدولار الأمريكى. ونظرا لتعثر المفاوضات التجارية والاقتصادية بين أمريكا واليابان، فإن الولايات المتحدة الأمريكية قد

فضلت اللجوء لأسلوب غير مباشر لإثبات أنها مازالت الدولة «المؤثرة» بالنسبة لليابان.

فوجئ المتعاملون بوجود أزمة مستمرة ومستحكمة الحلقات فى أسواق النقد العالمية ترتب عليها الارتفاع الفلكى فى قيمة «الين» اليابانى وانهيار سعر الدولار، ولم يفلح دخول البنك المركزى اليابانى مشتريا للدولار فى الحفاظ على قيمته بالنسبة للين. تصاعدت الاصوات اليابانية تتهم الولايات المتحدة الأمريكية بالتأمر الصامت إزاء انخفاض الدولار، والارتفاع غير المبرر للين مما يهدد بوقوع الصدام بين العملاقين أمريكا واليابان. تلوح أمريكا بفرض العقوبات التجارية لحماية أسواقها من الغزو اليابانى، وتهدد اليابان بالانسحاب من المفاوضات التجارية وطرح القضية برمتها على منظمة التجارة العالمية.

يقرر خبراء الإقتصاد اليابانيون أن الضرر الحقيقى الناجم عن ارتفاع قيمة الين لايتوقف عند حد تقليص القدرة التنافسية للصادرات اليابانية، وهو ما سيسبب مشاكل جذرية فى الصناعة والاقتصاد، بل ما سيتبع ذلك من تداعيات سلبية فى الداخل تؤثر بعنف على المجتمع اليابانى ورفاهيته.

يؤكد الخبراء اليابانيون نظرية إساءة أمريكا استخدام النظام النقدى الدولى ومحاولتها استغلال ورقة علاقة سعر الدولار بالنسبة «للين» لإثبات عجز اليابان عن حماية عملتها من الارتفاع وذلك بهدف انتزاع تنازلات يابانية فشلت أمريكا فى الوصول إليها بالضغط المباشر أو الدبلوماسية الهادئة، كل ذلك ينمى عوامل القلق بالنسبة لمخططى السياسة اليابانية المستقبلية، وهم يعلمون أنه ليس هناك من رادع يمنع من تكرار هذه «اللعبة» كلما تعثرت المفاوضات بين البلدين.

اليابان والإرهاب:

تصاعدت عمليات الإرهاب فى أغلب دول العالم، وتعددت أسبابها بين

منازعات عرقية، أو تحقيقا لأهداف استعمارية استيطانية، أو حماية لتجارة المخدرات الدولية، أو أملا فى تحقيق أهداف سياسية تحت غطاء دينى، وأخيرا وليس آخرا نتيجة هوس دينى أو عقائدى.

وقعت عملية إرهابية خلال شهر إبريل ١٩٩٥ فى مدينة «أوكلاهوما» الأمريكية بتفجير مبنى رئيس نتج عنه المئات من الضحايا. وتبين أن المتهم الأول عضو فى جماعة تعتنق بعض الأفكار المشوشة المنحرفة التى تنادى باسقاط الدولة ومنظماتها، والعيش فى مجتمعات صغيرة، هذه الجماعة ترفض سداد الضرائب، وترى أن العنف هو العلاج الوحيد لمشاكل المجتمع.

تزامنت مع هذا الحادث الأمريكى وقوع جريمة «التسميم» باستخدام غاز «السارين» بمحطة مترو فى طوكيو وميناء يوكوهاما اليابانى فى مارس وإبريل ١٩٩٥. ترتب على الحادثتين العديد من الضحايا بالإضافة إل إصابة الكثيرين ونقلهم للمستشفيات، وساد الذعر وتعطلت وسائل المواصلات لفترة طويلة، واستدعى الجيش لتنظيف المناطق المصابة باستخدام أسلوب مقاومة آثار الحرب الكيمائية، وأشارت القرائن بأصابع الاتهام إلى جماعة دينية بوذية تحمل اسم «أوم شيزى كيو»، ومعناها «الحقيقة الاسمى».

تبين أن الجمعية تحرز كيماويات تصلح لتصنيع كميات كبيرة من هذا الغاز.

إن غاز «السارين» مركب كيماوى عديم اللون والرائحة، يمتصه الجسم عن طريق الجلد والرئتين، فيؤثر على الجهاز العصبى، ويشل دفاعات الجسم، وينتج عن ذلك مضاعفات عدة يمكن أن تؤدى إلى الموت خلال دقائق.

أشارت التقارير اليابانية إلى تعدد ظهور الفرق اليابانية ومنها جماعة «الحقيقة الاسمى» بعد الحرب العالمية الثانية، وقد ظهرت لتبشر بمعتقدات جديدة، يفترض أنها تجعل حياة الناس أكثر سعادة وازدهارا وصحة، وتعد الناس بمكافآت غير دنيوية، معتبرة أن الحياة فى هذا العالم قليلة الأهمية،

ولذلك فإن هذه الجماعات تدرب أعضاءها على التأمل والزهد والتنسك على غرار الرهبان البوذيين، ورجال اليوجا الهندوس، ومن خلال ماتبثه من تمارين وتعاليم فإن الأعضاء يدربون على التحليق ذهنيا فى آفاق بعيدة عن الواقع، ولعل ذلك يذكرنا بطائفة الحشاشين فى تاريخنا القديم.

وقد ورد فى مقال للأستاذ فهمى هويدى فى الأهرام ٢٥ إبريل ١٩٩٥ أن صحيفة «لوموند» الفرنسية قد ذكرت أن الشباب اليابانى المتوازن والدءوب عادة قد وجد نفسه يعيش بين دفتى مجتمع يمضى بخطى سريعة على طريق التكنولوجيا، فى الوقت الذى تسود فيه الكثير من القيم الغامضة، ولذلك فإن بعض هؤلاء الشبان الحائرين بين التكنولوجيا والقيم الغامضة ينجذبون بسهولة إلى «جماعات الدراويش» المتمثلة فى الفرق البوذية الجديدة، الأمر الذى يعنى أن بلاد التكنولوجيا الرفيعة أصبحت تخطو بسرعة باتجاه اللامعقول حتى أصبح بعض الشبان يتعلقون بالممارسات السحرية والدينية.

وقد نشرت مجلة «الوسط» اللندنية مقالا للدكتور «ديفيد أراس» أستاذ الدراسات اليابانية بجامعة لندن يحلل فيها ظاهرة الإرهاب الأخيرة فى اليابان فيقرر أن اليابان تمر بمرحلة انتقالية تحاول فيها العثور على هويتها المستقلة عن الغرب وأمريكا، وأن اليابانيين يبذلون جهودهم للتعامل مع حقيقة جديدة حاسمة، وهى أنهم يفتقدون الاجماع الوطنى الذى تمتع به أسلافهم.

ويرجع الدكتور..... ـ أراسى ـ وهو يابانى الأصل ـ نجاح انتشار هذه الجمعيات المنحرفة إلى الفراغ الروحى الذى عانت منه اليابان عقب الحرب العالمية الثانية حين أجبر الحلفاء الامبراطور على التخلى عن مكانته الدينية كزعيم لمذهب «الشنتو»، وبذلك افتقد الشعب اليابانى فكرة العائلة أى الدولة التى جمعتهم ومنحتهم الإحساس بوحدة الهوية، باعتبار أن الامبراطور كان على رأس الهرم الاجتماعى والسياسى والدينى الذى يمثل اليابان.

إن المتتبع للتغيرات الجذرية التى تحدث فى المجتمع اليابانى، يلاحظ أن هذا

المجتمع بشبابه الحديث يعيش فترة من القلق، باحثا عن هويته، ويجد صعوبة في تحديد هدفه وهو يتساءل ماذا بعد النجاح؟ ماهو الهدف التالى؟ وقد غمره شعور بعدم الأمان فى خضم الصراعات العالمية السياسية والنقدية والتجارية وقد انهار الكثير من مقدساته، ولم يعثر الشباب اليابانى حتى اليوم على البديل.

المراجع العربية

١ ـ د. محمد عبد القادر حاتم ـ أسرار تقدم اليابان ـ مطابع الأهرام والمؤسسة اليابانية ١٩٩٠.

٢ ـ د. محمد عبد القادر حاتم ـ الإدارة فى اليابان وكيف نستفيد منها ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠.

٣ ـ د. عبد الغفار رشاد ـ التقليدية والحداثة فى التجربة اليابانية ـ مؤسسة الأبحاث العربية ١٩٨٤.

٤ ـ د. فوزى درويش ـ الشرق الأقصى (الصين واليابان) ـ مطابع غباش بطنطا ـ رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٩٨٨/٢٦٣١.

٥ ـ وزارة الخارجية اليابانية ـ اليابان فى مرحلة الانتقال ١٩٧٨.

٦ ـ السفير/ عبد الفتاح شبانة ـ حكايات دبلوماسية ـ دار المستقبل العربى ١٩٩٣.

٧ ـ جريدة الأهرام ٢٤، ٢٥ يناير ١٩٩٥.

ENGLISH SOURCES

1 - Kodansha, Encyclopedia of japan. Kodansha Ltd. Tokyo
١٩٨٣ ,

2 - Vogel, Ezra. F. Japan as number one. Charles E. Tuttle Com-
١٩٨٠ , pany Inc. Tokyo

3 - Reischauer, Edwin O., The Japanese, Charles E. Tuttle Com-
١٩٨٣ , pany. Tokyo.

4 - Reischauer, Edwin O., My Life Between Japan and America,
١٩٨٦ , Harper & Row, Publishers, New York

5 - Reischauer, Edwin O., Japan,Past and Present Charles E. Tuttle Company Inc., Tokyo (Twenty - fourth printing 1983).

6 - Kawasaki lchiro, Japan Unmasked, Tuttle Company of Rut-
١٩٦٩ , land, Tokyo

7 - Christopher, Robert C., The Japanese Kind, Pan Original
١٩٨٤ ,

8 - Tadao, Umesao, Seventy - seven keys to the civilization of Ja-
١٩٨٤ , pan, The Senri Foundation

9 - Richie, Donald, Japan, Kodansha lnternational Ltd. Tokyo
١٩٨١ , 1978. revised edition

10- Sesoko Tsune, "The wheel: A Japanese History". Cosmo-
١٩٨١ , History Public Relations Corp, Tokyo

11- Pr. Katsumi Yakobe, Labor Relations in Japan, Ministry of
١٩٧٧ , Foreign Affaires, Japan

12- Gibney Frank, Japan; The Fragile Super Power, Charles E.
١٩٧٩ , Tuttle Company, lnc. Tokyo.

13- Kyoshi Kajima, Japan and a new world economic order,
١٩٧٧ , Charles E. Tuttle Company, Tokyo

14- The Yomiuri Symposium 83. Strategy for Coexistence, Yo-
١٩٨٣ , miuri Research lnstitute

15- Masaharu Anesaki, History of Japanese Religion, Charles E. Tuttle Company. Tokyo, ۱۹۶۳

16- Japan Conference of Riligious Representatives, World Religionists Ethics Congress, Meiji Jingu Shrine, ۱۹۸۱

17- The Agency for Cultural Affaires, Japanese Religion, Kodansha International Ltd., ۱۹۸۱

18- Toichi Yashioka, Zen, Holkusha., ۱۹۷۸

19- Osanaga Kanroji, Hirohito, Gateway Publishers Inc. Los Angeles. U. S. A., ۱۹۷۵

20- Young womens' Christian Association, Japanese Etiquette, Tuttle Company of Rutland, Tokyo, Japan., ۱۹۵۵

21- Michiko Sasaki Vardaman, Japanese Etiquette Today, Tuttle Company of Rutland, Tokyo, ۱۹۹٤

22- Senei Ikenobo, Ikebana, Hoikusha, ۱۹۶۶

23- Kasumi Teshigahara, Ikebana For All Seasons. Shufunotomo Co., Ltd. Tokyo, ۱۹۷۵

24- Motoko Ito, Kimono, Holkusha, ۱۹۷۹

25- Yutaka Tazawa, Japan's Cultural History, Ministry of Foreign Affaires, Japan, ۱۹۷۳

26- Stanley Baker, Japanese Art, Thames & Hudson, Ltd., London, ۱۹۸٤

27- Sargeant, J. A., SUMO; the sport and tradition. Charles E. Tuttle Company, Tokyo, ۱۹۸۲

28- Pascale Richard Tanner, The Art of Japanese Management, Warner Books Edition, ۱۹۸۱

29- Ministry of foreign Affaires, Japan, Japan's Cultural History., ۱۹۷۳

30- The Youth Development Headquarters - Prime Ministers' Office - Japan. The Rising Younger Generation in Japan., The National Assembly for Youth Development., ۱۹۸۱

الســفير / عبد الفتاح محمد شبانة

عمل بالسلك الدبلوماسى فى المناصب التالية:

* قنصل عام مصر فى سان فرانسيسكو ١٩٦٦.
* وزير مفوض بسفارة مصر بأسبانيا ١٩٦٨.
* سفير مصر فى «كوت دى إيفوار» ١٩٧٤ - ١٩٧٨.
* سفير مصر فى اليابان ١٩٨١ - ١٩٨٥.
* مساعد وزير الخارجية بالقاهرة ١٩٨٦ - ١٩٨٧.
* سفير مصر فى ألمانيا ١٩٨٧ - ١٩٨٩.

** حاصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى، ووسام الجمهورية من الدرجة الثانية من مصر، ووسام الشمس المشرقة من اليابان، ووسام الاستحقاق من ألمانيا.

** صدر له كتاب حكايات دبلوماسى مصرى عام ١٩٩٣.

** نشر له عدة أبحاث ومقالات سياسية واقتصادية فى مجلة المصور، والأهرام الاقتصادى، وجريدة الأهرام.

تنفيذ وطبع محمد سويدان
بيروت ــ لبنان



اليابان

العادات والتقاليد وادمان التفوق.

سيظل التقدم المبهر الذي وصل اليه الشعب الياباني محل تفسيرات واجتهادات مختلفة من الناس، فاذا كانت مقاييس التقدم التقليدية لاي شعب تكاد تنحصر في مدى استهلاكه من الكهرباء او ورق الطباعة، او عدد الكيلومترات المرصوفة او ما يملكه من انفاق وكبارى. . . الخ، فإن الحديث عن اليابان يختلف ويتجاوز كل هذه المقاييس. فعندما يكون النظام عقيدة من عقائد العمل اليومي، وعندما تشعر المرأة بالخجل بين جاراتها لأن زوجها عاد من العمل في موعد الانصراف ولم يتأخر ليشارك في حلقة\النقاش اليومية التي يعقدها عمال كل مصنع يوميا لتقييم نتاج عملهم بهدف التطوير، وعندما تعلم ان المواطن الياباني، العامل، الذي يتذوق الفن، ويرتاد المسرح، ويشارك زوجته تنسيق الزهور، ويمارس الرياضة البدنية، ويلتزم بقيم الصدق و الشجاعة، عندما تعلم - عزيزي القارىء - كل هذا فلم نجد وسيلة للتعريف بالمجتمع الياباني سوى اللجوء لكاتب مثقف أحب اليابان وعاش فيها سنوات وشارك في الحياة الاجتماعية والثقافية، حتى كان له فضل تدعّم العلاقات بين الشعبين المصري والياباني في شكل متابعة انجاز المشروعات التي قدمتها اليابان الى مصر. . .

هذا الكتاب دعوة تقضاء ٤ سنوات في اليابان بكل ما فيها من أصالة ومعاصرة، بكل ما تطمح به الى مستقبل أكثر اشراقاً وقوة ولو كره الآخرون.

الناشر

مكتبة مدبولي **MADBOULI BOOKSHOP**

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١ 6 Talat Harb SQ. Tel. : 5756421